اركب معنا



د. محمد العريفي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد:

أما الأول:

فقد جلس إليَّ مهموماً مغموماً.. ثم قال: يا شيخ.. مللت من الغربة..

فقلت: عسى الله أن يعجل رجوعك إلى أهلك وبلدك..

فاستعبر وبكى.. ثم قال: **أما والله يا شيخ لو عرفت بقدر شوقي إليهم وقدر شوقهم إليَّ ..**

هل تصدق يا شيخ أن أمي قد سافرت أكثر من أربعمائة ميل لتدعو لي عند ضريح قبر الشيخ فلان .. وتسأله أن يردني إليها ..!! فهو رجل مبارك تقبل منه الدعوات .. ويقضي الكربات .. ويسمع دعاء الداعين.. حتى بعد موته..!!

أما الثاني:

فقد حدثني شيخنا العلامة عبد الله بن جبرين ..

قال: كنت على صعيد عرفات .. والناس في بكاء ودعوات .. قد لفوا أجسادهم بالإحرام .. ورفعوا أكفهم إلى الملك العلام ..

وبينما نحن في خشوعنا وخضوعنا .. نستنزل الرحمات من السماء ..

لفت نظري شيخ كبير.. قد رق عظمه .. وضعف جسده .. وانحنى ظهره .. وهو يردد : يا ولي الله فلان .. أسألك أن تكشف كربتي .. اشفع لي .. وارحمني.. ويبكي وينتحب..

فانتفض جسدي.. واقشعرَّ جلدي.. وصحت به: اتق الله.. كيف تدعو غير الله!! وتطلب الحاجات من غير الله!! هذا الولي مخلوق مثلك.. عبدٌ مملوكٌ.. لا يسمعك ولا يجيبك.. ادعُ الله وحده لا شريك له..

فالتفت إلي ثم قال: إليك عني يا عجوز.. أنت ما تعرف قدر الشيخ فلان عند الله!!.. أنا أؤمن يقيناً أنه ما تنزل قطرة من السماء.. ولا تنبت حبة من الأرض إلا بإذن هذا الشيخ ..

فلما قال ذلك.. قلت له: تعالى الله.. ماذا أبقيت لله.. اتق الله..

فلما سمع مني ذلك.. ولاني ظهره ومضى..

وأما الثالث.. والرابع.. والخامس.. فأخبارهم فيما بين يديك من أوراق..

فسبحان الله.. **أين هؤلاء اللاجئين إلى غير مولاهم.. الطالبين حاجاتهم من موتاهم.. المتجهين بكرباتهم إلى عظام باليات..** وأجساد جامدات.. أينهم عن الله..!! الملك الحق المبين !! الذي يرى حركات الجنين .. ويسمع دعاء

المكروبين.. ولا يرضى أن يدعوا عباده سواه..

فابك إن شئت على حال الأمة.. وقلب طرفك في بلاد الإسلام.. لترى أضرحة ومقامات.. وقبوراً ورفات.. صارت هي الملجأ عند الملمات.. والمفزع عند الكربات..

نشأ عليها الصغير.. وشاب عليها الكبير..

فهذه كلمات لهم وهمسات.. وأحاديث ونداءات.. بل هي صرخات وصيحات.. وابتهالات ودعوات.. للغارقين والغارقات..

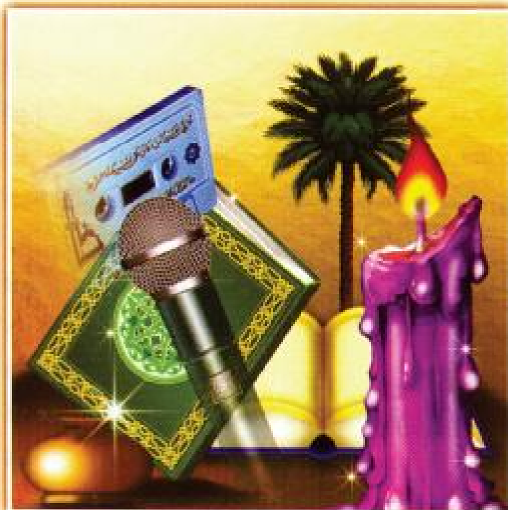
الذين تلاطمت بهم الأمواج.. وضلوا في الفجاج..

حتى تخلفوا عن سفينة النجاة.. وماتوا وهم مشركون.. وهم يحسبون أنهم مسلمون..

إنها سفينة التوحيد.. التي هي كسفينة نوح.. من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.. وكم رأينا في بلاد الإسلام.. من أقارب وإخوان.. وجيران وخلان.. ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً..

لذا جاء هذا الكتاب نداءً لهم جميعاً بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له..

كتبه / د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
E-Mail: arefe@arefe.com



البحر المتلاطم..

كانت الدنيا مليئة بالمشركين .. هذا يدعو صنماً .. وذاك يرجو قبراً.. والثالث يعبد بشراً .. والرابع يعظم شجراً .. نظر إليهم ربهم فمقتهم عربهم وعجمهم .. إلا بقايا من موحدي أهل الكتاب ..

وكان من بين هؤلاء السادرين ..

سيد من السادات.. هو عمرو بن الجموح..

كان له صنم اسمه مناف.. يتقرب إليه.. ويسجد بين يديه.. مناف.. هو مفزعه عند الكربات.. وملاذه عند الحاجات.. صنم صنعه من خشب.. لكنه أحب إليه من أهله وماله..

وكان شديد الإسراف في تقديسه.. وتزيينه وتطييبه وتلبيسه.. وكان هذا دأبه مذ عرف الدنيا.. حتى جاوز عمره الستين سنة..

فلما بُعث النبي ﷺ في مكة.. وأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه.. داعيةً ومعلماً لأهل المدينة.. أسلم ثلاثة أولاد لعمرو بن الجموح مع أمهم دون أن يعلم..

فعمدوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر هذا الداعي المعلم وقرؤوا عليه القرآن..

وقالوا: يا أبانا قد اتبعه الناس فما ترى في اتباعه؟

فقال: لست أفعل حتى أشاور مناف فأنظر ما يقول!!

ثم قام عمرو إلى مناف.. وكانوا إذا أرادوا أن يكلموا أصنامهم جعلوا خلف الصنم عجوزاً تجيبهم بما يلهمها الصنم في زعمهم..

أقبل عمرو يمشي بعرجته إلى مناف.. وكانت إحدى رجليه أقصر من الأخرى.. فوقف بين يدي الصنم.. معتمداً على رجله الصحيحة.. تعظيماً واحتراماً..

ثم حمد الصنم وأثنى عليه ثم قال: يا مناف.. لا ريب أنك قد علمت بخبر هذا القادم.. ولا يريد أحداً بسوءٍ سواك.. وإنما ينهانا عن عبادتك.. فأشِرْ عليّ يا مناف.. فلم يردَّ الصنم شيئاً.. فأعاد عليه فلم يجب..

فقال عمرو: لعلك غضبت.. وإني ساكت عنك أياماً حتى يزول غضبك.. ثم تركه وخرج.. فلما أظلم الليل.. أقبل أبناؤه إلى مناف.. فحملوه وألقوه في حفرة فيها أقذار وجيف.. فلما أصبح عمرو دخل إلى صنمه لتحيته فلم يجده..

فصاح بأعلى صوته: ويلكم!! من عدا على إلهنا الليلة.. فسكت أهله.. ففزع..واضطرب..وخرج يبحث عنه..فوجده منكساً على رأسه في الحفرة.. فأخرجه وطيبه وأعاده لمكانه..

وقال له: أما والله يا مناف لو علمتُ من فعل هذا لأخزيته.. فلما كانت الليلة الثانية أقبل أبناؤه إلى الصنم.. فحملوه وألقوه في تلك الحفرة المنتنة..

فلما أصبح الشيخ التمس صنمه.. فلم يجده في مكانه.. فغضب وهدد وتوعد.. ثم أخرجه من تلك الحفرة فغسله وطيبه.. ثم ما زال الفتية يفعلون ذلك بالصنم كل ليلة وهو يخرجه كل صباح فلما ضاق بالأمر ذرعاً راح إليه قبل منامه وقال: ويحك يا مناف إن العنز لتمنع أستها..

ثم علق في رأس الصنم سيفاً وقال: ادفع عدوك عن نفسك..

فلما جَنَّ الليل حمل الفتية الصنم وربطوه بكلب ميت وألقوه في بئر يجتمع فيها النتن.. فلما أصبح الشيخ بحث عن مناف فلما رآه على هذا الحال في البئر قال:

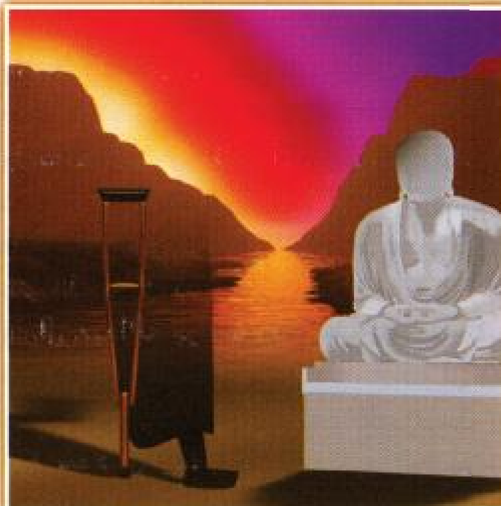
ورب يبول الثعلبان برأسه لقد خاب من بالت عليه الثعالب

ثم دخل في دين الله.. وما زال يسابق الصالحين في ميادين الدين..

وانظر إليه.. لما أراد المسلمون الخروج إلى معركة بدر.. منعه أبناؤه لكبر سنه.. وشدة عرجه.. فأصر على الخروج للجهاد.. فاستعانوا برسول الله ﷺ فأمره بالبقاء في المدينة.. فبقي فيها..

فلما كانت غزوة أحد.. أراد عمرو الخروج للجهاد.. فمنعه أبناؤه.. فلما أكثروا عليه.. ذهب إلى النبي ﷺ.. يدافع عبرته.. ويقول: (يارسول الله إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد..

قال: إن الله قد عذرك..



فقال.. يا رسول الله.. والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة..

فأذن له ﷺ بالخروج.. فأخذ سلاحه وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردّني إلى أهلي..

فلما وصلوا إلى ساحة القتال.. والتقى الجمعان.. وصاحت الأبطال.. ورميت النبال..

انطلق عمرو يضرب بسيفه جيش الظلام.. ويقاتل عباد

الأصنام.. حتى توجه إليه كافر.. بضربة سيف كُتِبَت له بها الشهادة..
فدفن رضي الله عنه.. ومضى مع الذين أنعم الله عليهم..
وبعد ست وأربعين سنة في عهد معاوية رضي الله عنه.. نزل بمقبرة شهداء أحد.. سيل شديد.. غطى أرض القبور.. فسارع المسلمون إلى نقل رُفات الشهداء.. فلما حفروا عن قبر عمرو بن الجموح.. فإذا هو كأنه نائم.. ليِّن جسده.. تتثنى أطرافه.. لم تأكل الأرض من جسده شيئاً..
فتأمل كيف ختم الله له بالخير لما رجع إلى الحق لما تبين له.. بل انظر كيف أظهر الله كرامته في الدنيا قبل الآخرة.. لما حقق لا إله إلا الله..
هذه الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات.. وفطر الله عليها جميع المخلوقات.. وهي سبب دخول الجنة.. ولأجلها خلقت الجنة والنار.. وانقسم الخلق إلى مؤمنين وكفار.. وأبرار وفجار..
فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين..

سفينة النجاة..

وكم من إنسان هلك مع الهالكين.. واستحق اللعنة إلى يوم الدين.. بسبب أنه لم يحقق التوحيد.. فالله هو الرب الواحد.. لا يتوكل العبد إلا عليه.. ولا يرغب إلا إليه.. ولا يرهب إلا منه.. ولا يحلف إلا باسمه.. ولا ينذر إلا له.. ولا يتوب إلا إليه.. فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله..
ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة..
وانظر إلى معاذ رضي الله عنه.. لما مشى خلف النبي ﷺ.. فالتفت إليه النبي ﷺ فجأة ثم سأله..
يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد.. وما حق العباد على الله..
قال: الله ورسوله أعلم..
فقال ﷺ: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً..
وسأل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله.. أي ذنب عند الله أعظم.. فقال ﷺ: أن تجعل لله نداً وهو خلقك..
نعم.. التوحيد من أجله.. بعث الله الرسل.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.. والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله.. من صنم أو حجر.. أو قبر أو شجر..

والتوحيد هو مهمة الرسل الأولى كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.. بل إن الخلق لم يخلقوا إلا ليوحدوا الله قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾..

والأعمال كلها متوقفة في قبولها على التوحيد.. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.. ومن حقق التوحيد نجا.. كما صح في الحديث القدسي عند الترمذي.. أن الله تعالى قال: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة..

ولعظم أمر التوحيد.. خاف الأنبياء من فقده..

فذاك أبو الموحدين.. محطم الأصنام.. وباني البيت الحرام.. إبراهيم عليه السلام.. يبتهل إلى الملك العلام.. ويقول: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.. ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

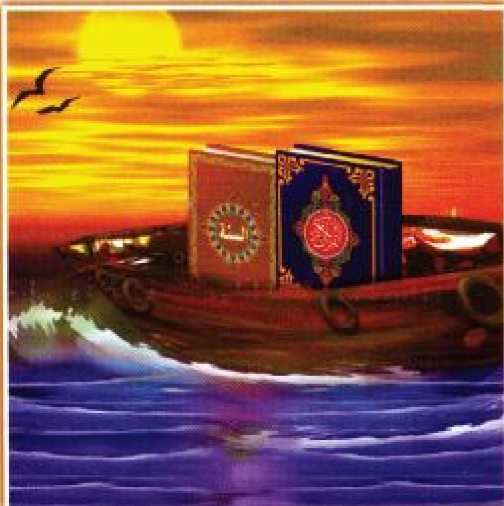
بداية الانحراف..

أول ما حدث الشرك في قوم نوح..

فبعث الله نوحاً.. فنهاهم عن الشرك.. فمن أطاعه ووحد الله نجى..

ومن ظل على شركه.. أهلكه الله بالطوفان.. وبقي الناس بعد نوح على التوحيد زماناً.. ثم بدأ إبليس في الإفساد.. ونشر الشرك بين العباد.. ولم يزل الله تعالى يبعث المرسلين مبشرين ومنذرين..

إلى أن بعث خاتم النبيين محمداً ﷺ.. فدعا إلى التوحيد.. وجاهد المشركين.. وكسر الأصنام..



ومضت الأمة من بعده على التوحيد.. إلى أن عاد الشرك إلى بعض الأمة بسبب تعظيم الأولياء والصالحين..

حتى بنيت الأضرحة على قبورهم.. وصرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لمقاماتهم..



وسموا هذا الشرك توسلاً بالصالحين ومحبة لهم بزعمهم.. وزعموا أن محبتهم لهؤلاء وتعظيم قبورهم.. تقربهم إلى الله زلفى..

ونسوا أن هذه حجة المشركين الأولين حيث قالوا عن أصنامهم: ﴿ما نعبدهم إلى ليقربونا إلى الله زلفى﴾.. والعجب أنك إذا أنكرت على هؤلاء شركهم.. قالوا لك.. كلا بل نحن موحدون.. ولربنا عابدون..

ويظنون أن معنى التوحيد هو الإقرار بوجود الله وأحقيته بالعبادة دون غيره.. وهذا مفهوم قاصر.. للتوحيد..

فأبو جهل.. وأبو لهب.. بهذا المفهوم موحدون.. فإنهم يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم المستحق للعبادة.. لكنهم أشركوا معه آلهة أخرى ظنوا أنها توصل إليه.. وتشفع لهم عنده..

قصة..

روى البيهقي بسند حسن: أنه لما ظهر النبي ﷺ بدعوته بين الناس.. حاول كفار قريش أن ينفروا الناس عنده..

فقالوا: ساحر.. كاهن.. مجنون.. لكنهم وجدوا أن أتباعه يزيدون ولا ينقصون.. فاجتمع رأيهم على أن يغروه بمال ودنيا..

فأرسلوا إليه حصين بن المنذر الخزاعي.. وكان من كبارهم..

فلما دخل عليه حصين.. قال: يا محمد.. فرقت جماعتنا.. وشتت شملنا.. وفعلت.. وفعلت.. فإن كنت تريد مالاً جمعنا لك حتى تكون أكثرنا مالاً.. وإن أردت نساءً زوجناك أجمل النساء.. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا.. ومضى في كلامه وإغرائه.. والنبي ﷺ ينصت إليه..

فلما انتهى من كلامه.. قال له ﷺ: أفرغت يا أبا عمران..

قال: نعم.. قال: فأجبني عما أسألك.. قال: سل عما بدا لك..

قال: يا أبا عمران.. كم إلهاً تعبد؟ قال: أعبد سبعة.. ستة في الأرض.. وواحداً في السماء!!

قال: فإذا هلك المال.. من تدعوا!؟

قال: أدعوا الذي في السماء.. قال: فإذا انقطع القطر من تدعوا ؟

قال: أدعوا الذي في السماء.. قال: فإذا جاع العيال.. من تدعوا؟

قال: أدعوا الذي في السماء.. قال: فيستجيب لك وحده.. أم يستجيبون لك كلهم..

قال: بل يستجيب وحده..

فقال ﷺ: يستجيب لك وحده.. وينعم عليك وحده.. وتشركهم في الشكر.. أم

أنك تخاف أن يغلبوه عليك.. قال حصين: لا.. ما يقدرون عليه..

فقال ﷺ: يا حصين.. أسلم أعلمك كلمات ينفعك الله بهن.. الحديث..

حقيقة..

نعم كانوا يعبدون اللات والعزى.. لكنهم يعتبرونها آلهة صغيرة تقربهم إلى الإله الأعظم وهو الله جل جلاله.. ويصرفون لها أنواعاً من العبادات.. لتشفع لهم عند الله.. لذا كانوا يقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾..

كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت..

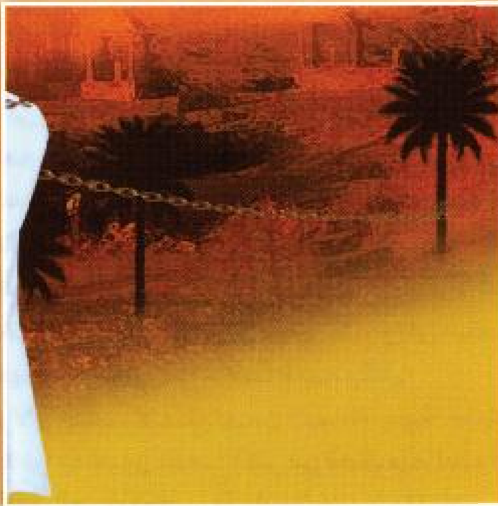
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾..

وفي الصحيحين وغيرهما.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث خيلا جهة نجد.. لينظروا له ما حول المدينة..

فبينما هم يتجولون على دوابهم.. فإذا برجل قد تقلد سلاحه.. ولبس الإحرام.. وهو يلبي قائلاً: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك.. إلا شريكاً هو لك.. تملكه وما ملك.. ويردد: إلا شريكاً هو لك.. تملكه وما ملك..

فأقبل الصحابة عليه.. وسألوه أين يريد.. فأخبرهم أنه يريد مكة.. فنظروا في حاله فإذا هو قد أقبل من ديار مسيلمة الكذاب.. الذي ادعى النبوة..

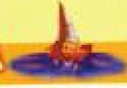
فربطوه وأوثقوه وجاؤوا به إلى المدينة.. ليراه النبي ﷺ.. ويقضي فيه ما شاء..



فلما رآه النبي ﷺ.. قال لأصحابه: أتدون من أسرتم.. هذا ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة..

ثم قال اربطوه في سارية من سواري المسجد.. وأكرموه..

ثم ذهب ﷺ إلى بيته وجمع ما عنده من طعام وأرسل به إليه.. وأمر بدابة ثمامة أن تعلف ويعتنى بها.. وتعرض أمامه في الصباح والمساء..



فربطوه بسارية من سواري المسجد.. فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟

قال: عندي خير يا محمد.. إن تقتلني تقتل ذا دم.. (أي ينتقم لي قومي).. وإن تنعم تنعم على شاكر.. وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت..

فتركه ﷺ حتى كان الغد.. ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي ما قلت لك إن تقتلني تقتل ذا دم.. و إن تنعم تنعم على شاكر.. وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت..

فتركه ﷺ حتى بعد الغد.. فمر به فقال: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي ما قلت لك..

فلما رأى ﷺ أنه لا رغبة له في الإسلام.. وقد رأى صلاة المسلمين.. وسمع حديثهم.. ورأى كرمهم..

قال ﷺ: أطلقوا ثمامة.. فأطلقوه.. وأعطوه دابته وودعوه..

فانطلق ثمامة إلى ماء قريب من المسجد.. فاغتسل.. ثم دخل المسجد.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك.. فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي..

والله ما كان دين أبغض إلي من دينك.. فأصبح دينك أحب الدين إلي..

والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي..

ثم قال: يا رسول الله.. إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره النبي ﷺ بالخير.. وأمره أن يكمل طريقه إلى مكة ويعتمر.. فذهب إلى مكة يلبي بالتوحيد قائلاً.. لبيك لا شريك لك.. لبيك لا شريك لك..

نعم أسلم فقال: لبيك لا شريك لك.. فلا قبر مع الله يعبد.. ولا صنم يُصلَّى له ويُسْجَد.. ثم دخل ثمامة رضي الله عنه مكة.. فتسامع به سادات قريش فأقبلوا عليه..

فسمعوا تلبيته فإذا هو يقول.. لبيك لا شريك لك.. لبيك لا شريك لك..

فقال له قائل: أصبوت؟ قال: لا.. ولكن أسلمت مع محمد ﷺ..

فهموا به أن يؤذوه.. فصاح بهم وقال:

ولا و الله.. لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة.. حتى يأذن فيها النبي ﷺ..

كانوا يعظمون الله.. أكثر من تعظيمهم لهذه الآلهة..

فقل لي بربك.. ما الفرق بين شرك أبي جهل وأبي لهب.. وبين من يذبح

اليوم عند قبر.. أو يسجد على أعتاب ضريح.. أو يذبح له ويطوف.. أو يقف عند مشهد الولي ذليلا خاضعا.. منكسراً خاشعاً.. يسأله الحاجات.. وكشف الكربات.. يلتمس من عظام باليات شفاء المريض.. ورد المسافر..

عجباً.. والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.. وهذا الشرك..الذي يقع عند القبور من ذبح لها..وتقرب إلى أهلها..وطواف عليها..هو أعظم الذنوب..

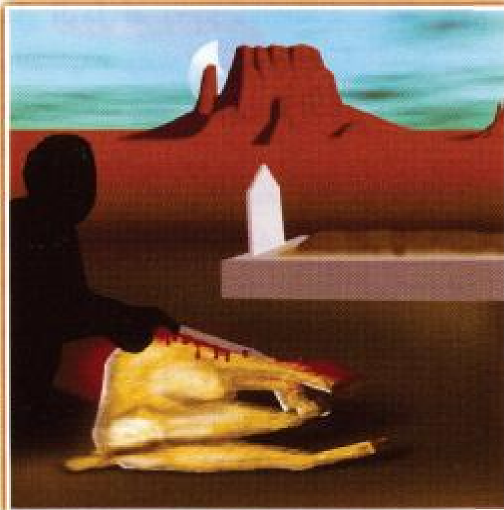
نعم أعظم من الزنا.. وأعظم من شرب الخمر.. والقتل.. وعقوق الوالدين.. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾..

نعم.. الله لا يغفر أن يشرك به.. بينما قد يغفر الله للزناة.. ويعفو عن القتلة والجناة..

ولقد أخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين: أن امرأة بغياً من بني إسرائيل كانت تمشي في صحراء.. فرأت كلباً بجوار بئر يصعد عليه تارة.. ويطوف به تارة..

في يوم حار قد أدلع لسانه من شدة الظمأ.. قد كاد يقتله العطش..

فلما رأته هذه البغي.. التي طالما عصت ربها.. وأغوت غيرها.. ووقعت في الفواحش والآثام.. وأكلت المال الحرام.. لما رأت هذا الكلب.. نزعت خفها (حذاءها).. وأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء.. وسقته.. فغفر الله لها بذلك.. الله أكبر.. غفر الله لها.. بماذا..؟



هل كانت تقوم الليل وتصوم النهار؟! هل قتلت في سبيل الله؟!

كلا.. وإنما سقت كلباً شربة من ماء.. فغفر الله لها.. لأنها كانت تقع في المعاصي لكنها ما كانت تشرك بالله ولياً ولا قبراً.. ولا تعظم حجراً ولا بشراً.. فغفر الله لها.. فما أقرب المغفرة من العاصين وما أبعدها عن المشركين..



قصة..

بعض الناس يفزع ويضطرب.. ويحزن إذا رأى كثرة الزناة وشراب الخمور.. بينما لا يتأثر وهو يرى كثرة من يتمسحون بأعتاب القبور ويصرفون لها أنواع العبادات.. مع أن الزنى وشرب الخمر معاص كبار.. لكنها لا تخرج عن ملة الإسلام.. بينما صرف شيء من العبادة لغير الله هو شرك يموت به الإنسان كافراً.. ولذا كان العلماء الربانيون يجعلون تدريس العقيدة أصل الأصول..

كان أحد المشائخ قد ألف كتاب في أهمية التوحيد.. وأخذ يشرحه لطلابه.. ويعيد ويكرر مسائله عليهم..

فقال له طلابه يوما: يا شيخ نريد أن تغير لنا الدرس إلى مواضيع أخرى.. قصص.. سيرة.. تاريخ..

قال الشيخ: سننظر في ذلك إن شاء الله.. ثم خرج إليهم من الغد مهموماً مفكراً.. فسألوه عن سبب حزنه فقال: سمعت أن رجلاً في قرية مجاورة.. سكن بيتاً جديداً.. وخاف من تعرض الجن له فذبح ديكاً عند عتبة باب البيت.. تقرباً إلى الجن.. ولقد أرسلت من يتثبت لي من هذا الأمر..

فلم يتأثر الطلاب كثيراً.. وإنما دعوا لذلك الرجل بالهداية.. وسكتوا..

وفي الغد لقيهم الشيخ.. فقال: تثبتنا من خبر البارحة.. فإذا الأمر على خلاف ما نقل إليّ..

فإن الرجل لم يذبح ديكا تقربا إلى الجن.. ولكنه زنا بأمه.. فثار الطلاب وانفعلوا.. وسبوا وأكثروا.. وقالوا لا بد من الإنكار عليه.. ومناصحته.. وعقوبته.. وكثر هرجهم ومرجهم..

فقال الشيخ: ما أعجب أمركم.. تنكرون هذا الإنكار على من وقع في كبيرة من الكبائر.. وهي لم تخرجه من الإسلام.. ولا تنكرون على من وقع في الشرك.. وذبح لغير الله.. وصرف العبادة لغير الله.

فسكت الطلاب.. فأشار الشيخ إلى أحدهم وقال.. قم ناولنا كتاب التوحيد نشرحه من جديد.. والشرك أعظم الذنوب.. ولا يغفره الله أبداً.. قال الله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾..

والجنة حرام على المشركين.. وهم مخلدون في النار.. قال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾..

ومن وقع في الشرك.. أفسد عليه هذا الشرك.. جميع عباداته من صلاة وصوم

وحج وجهاد وصدقة.. قال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾..

والشرك له صور متعددة:

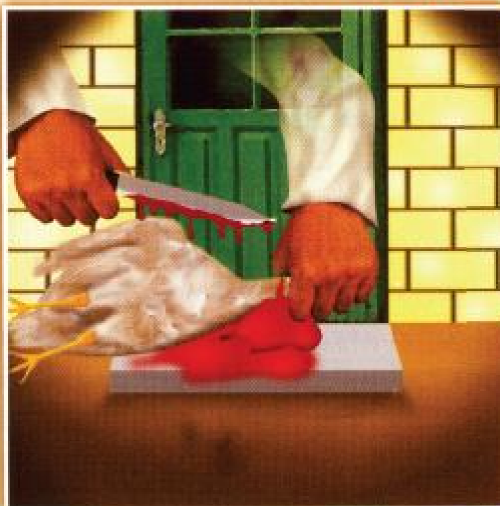
منها ما يخرج من الملة.. ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه.. كدعاء غير الله.. والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله.. من القبور.. والجن.. والشياطين.. والخوف من الموتى.. أو الجن والشياطين أن يضروه أو يمرضوه.. ورجاء غير الله فيما يقدر عليه إلا الله.. من قضاء الحاجات.. وتفريج الكربات.. مما يمارس الآن حول الأضرحة والقبور..

فالقبور تزار لأجل الاتعاظ والدعاء للأموات.. كما قال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»..

وذلك للرجال.. أما النساء فلا يشرع لهن زيارة القبور.. لأن النبي ﷺ لعن زوارات القبور.. ولأن زيارتهن قد يحصل بها فتنة لهن أو بهن..

أما زيارة القبور لدعاء أهلها.. والاستغاثة بهم.. أو الذبح لهم.. أو التبرك بهم.. أو طلب الحاجات منهم.. والنذر لهم..

فهذا شرك أكبر.. ولا فرق بين كون المدعو المقبور نبياً أو ولياً أو صالحاً.. فكل هؤلاء بشر.. لا يملكون ضراً ولا نفعاً.. قال الله لأحب خلقه إليه محمد ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾..



ويدخل في ذلك ما يفعله الجهال عند قبر النبي ﷺ من دعائه والاستغاثة به.. أو عند قبر الحسين.. أو البدوي.. أو الجيلاني.. أو غيرهم..

أما زيارة القبور للصلاة عندها والقراءة.. فهذه بدعة..

وإنما يشرع للزائر الاتعاظ والدعاء للميت فقط..

ومن العجب أن يذهب مسلم إلى المقبورين وهو يعلم أنهم جثث هامدة.. لا يستطيعون

أن يتخلصوا مما هم فيه.. فيطلب منهم أن يستجيبوا الدعوات.. أو يفرجوا الكربات.. وكثير من هذه الأضرحة.. والقبور.. التي تعظم.. ويبنى عليها.. يكون لها خدم وسدنة.. يظهرون التقى والتقشف.. ويختلقون للناس الأكاذيب.. ويدعونهم إلى الشرك بالله..

يعبدون جوزة..!!

إني أقول لأولئك الذين يدعون الأموات..

أمواتكم هؤلاء.. الذين تبكون على عتباتهم.. وترجون شفاعاتهم.. ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون﴾..

لا والله لا يسمعون.. ولا ينفعون.. بل يخذلون ويضرون..

وما أجمل ما فعله ذلك الغلام الصغير.. الذي عمره ١٣ سنة.. وسافر مع والده إلى الهند.. والهند بلاد كبيرة.. تتنوع فيها الآلهة.. يعبدون كل شئ.. من حيوان ونبات وجماد وبشر وكواكب..

دخل الغلام أحد المعابد.. فرأى الناس يعبدون ثمرة جوز الهند..

وقد رسموا لها عينين وأنفاً وفماً.. ويقدمون لها البخور والطعام والشراب..

ثم رآهم يصلون لها.. فلما سجدوا لها.. أقبل الغلام إلى الثمرة فاختطفها وهرب بها.. فلما رفعوا رؤوسهم من سجودهم.. لم يجدوا إلههم.. فالتفتوا..

فإذا الغلام قد حمل الإله.. وفرّ به هارباً.. فقطعوا صلاتهم.. وركضوا وراء الغلام.. فلما ابتعد عنهم.. جلس على الأرض.. ثم كسر الجوزة.. وشرب ماءها وألقاها على الأرض.. فتصايحوا لما رأوا الإله مكسوراً.. فأخذوه وضربوه وتلتلوه.. ثم ذهبوا به إلى قاضي البلد..

فقال له القاضي: أنت الذي كسرت الإله؟

قال الغلام: لا.. ولكني كسرت جوزة.. قال القاضي: ولكنها إلاههم..

قال الغلام: أيها القاضي!! هل كسرت يوماً جوزة هند وأكلتها؟

قال القاضي: نعم.. قال الغلام: فما الفرق إذاً؟

فسكت القاضي واحتار.. ونظر إلى عبادها يريد منهم الجواب..

فقالوا: هذه الجوزة لها عينان وفم..

فصاح بهم الغلام قال: هل تتكلم؟ قالوا: لا..

قال: هل تسمع؟ قالوا: لا..

قال: فكيف تعبدونها إذاً؟ فبهت الذي كفر.. والله لا يهدي القوم الظالمين..

فنظر إليهم القاضي.. فخاف أن يتعرضوا للغلام بسوء..

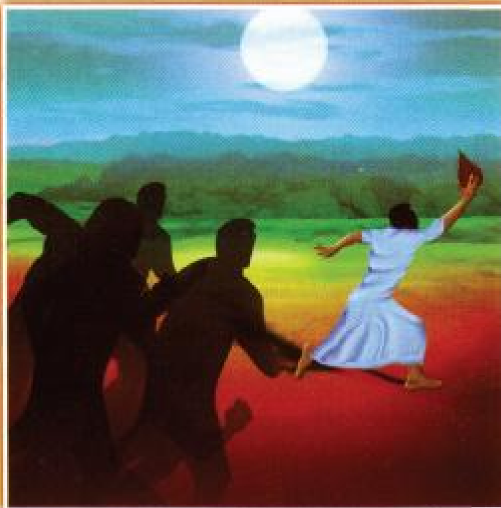
فقال للغلام.. عقوبة لك.. قررنا تغريمك ١٥٠ روبية..
فدفعها الغلام مرغماً.. وخرج منتصراً..
ومما يزيد الطين بلة.. أن المتعلقين بالقبور.. لم يكتفوا بتعظيم الأموات.. وسؤالهم الحاجات.. وإنما صرفوا الأموال في تزيينها.. ورفعها.. والبناء عليها.. وتنقسم القباب والأضرحة المبنية على القبور.. إلى قسمين:

الأول: قباب تبنى في مقابر المسلمين العامة.. حيث تبدو القبة شاهقة وسط القبور..

والثاني: قباب تبنى في المساجد.. أو تبنى عليها المساجد.. وقد تكون في قبلة المسجد.. أو في الخلف.. أو في أحد جوانبه..

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد.. لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" وهذا في قبره الشريف وفي كل قبر..
وعن علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته.. ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته».. ونهى ﷺ أن يجصص القبر.. وأن يقعد عليه.. وأن يبنى عليه.. أو أن يكتب عليه..
ولعن ﷺ المتخذين عليها (أي القبور) المساجد والسُرج.. ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام.. لا على قبر نبي.. ولا غيره..

الواقع الأليم..



واليوم.. خذ على عجل الواقع الأليم..

• في مصر: أضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر وقراها.. ستة آلاف ضريح..
وهي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين.. بل إنه من الصعب أن تجد يوماً على مدار السنة ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر..
بل تعتبر القرية التي تخلو

من أضرحة منزوعة البركة عندهم..

وتنقسم الأضرحة إلى كبرى وصغرى.. وكلما فخم البناء واتسع وذاع صيت صاحبه زاد اعتباره.. وكثر زواره..

فمن الأضرحة الكبرى في القاهرة: ضريح الحسين.. وضريح السيدة زينب.. وضريح السيدة عائشة.. والسيدة سكينة.. والسيدة نفيسة.. وضريح الإمام الشافعي.. وضريح الليث ابن سعد..

إضافة إلى ضريح البدوي بطنطا.. والدسوقي بدسوق.. والشاذلي بقرية حميثرة.. وقبر مزعوم للحسين.. يحج له الناس ويتقربون إليه بالنذر والقربات.. وتجاوز ذلك إلى الطواف به والاستشفاء.. وطلب قضاء الحاجات عند الملمات.. وضريح السيد البدوي.. له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر.. يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها.. من السُنة والشيعة..

وجلال الدين الرومي.. الذي كتب على قبره ومزاره: صالح للأديان الثلاثة.. المسلمين واليهود والنصارى.. ويدعى هذا الوثن بالقطب الأعظم..

• أما في الشام فقد ذكر الباحثون الثقاة أن في دمشق وحدها ١٩٤ضريحاً والمشهور منها ٤٤ ضريحاً.. وينسب للصحابة أكثر من سبعة وعشرين قبراً.. وفي دمشق ضريح لرأس يحيى بن زكريا - عليهما السلام -.. يقع في المسجد الأموي.. وبجانب المسجد قبر لصلاح الدين.. وعماد الدين زنكي.. وقبور أخرى تزار ويتوسل بها...

وفي سوريا أيضاً: ضريح لمحيي الدين بن عربي صاحب "فصوص الحكم".. وهو ضال فاجر..

• وفي تركيا أكثر من ٤٨١ جامعاً لا يكاد يخلو جامع من ضريح.. أشهرها الجامع الذي بني على القبر المنسوب إلى أبي أيوب الأنصاري في القسطنطينية..

• وفي الهند يوجد أكثر من مئة وخمسين ضريحاً مشهوراً يؤمها الآلاف من الناس..

• أما العراق.. ففي بغداد وحدها أكثر من مئة وخمسين جامعاً وقلَ أن يخلو جامع منها من ضريح.. وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع.. وهذا كله بخلاف الأضرحة الموجودة في المساجد والأضرحة المفردة.. (انظر: الانحرافات العقدية.. ص٢٨٩.. ٢٩٤.. ٢٩٥).

• وفي الهند: أصبح قبر الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني.. ويعملون أنواع العبادات.. كالسجود.. والنذور..

• وفي باكستان.. ضريح الشيخ علي الهجوري في لاهور.. وهو من القبور العظيمة.. والعجب أن الناس مفتونون بها.. مع أن أكثرها أضرحة مكذوبة.. لا حقيقة لها..

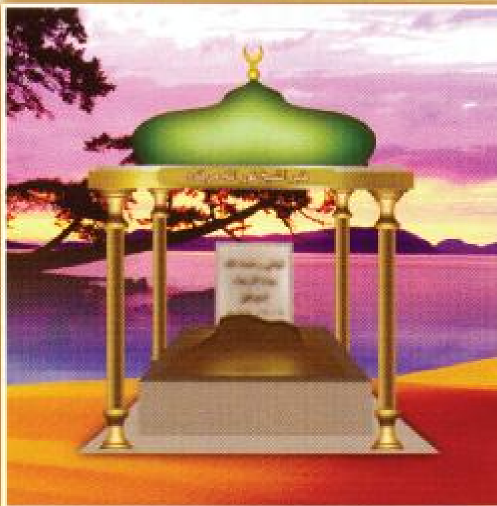
• فالحسين رضي الله عنه.. له قبر بالقاهرة يتقربون إليه.. ويصرفون له أنواعاً من العبادات من دعاء وذبحٍ وطواف..

وفي عسقلان قبر للحسين أيضاً.. وفي سفحِ جبل الجوشن غربي حلب ضريح ينسب إلى رأس الحسين رضي الله عنه أيضاً..

وكذلك توجد أربعة مواضع أخرى يقال إن بها رأس الحسين، في دمشق.. والحنانة - بين النجف والكوفة -.. وبالمدينة عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنه.. وفي النجف بجوار القبر المنسوب إلى أبيه رضي الله عنه.. وفي كربلاء حيث يقال: إنه أعيد إلى جسده.. (انظر: الانحرافات العقدية.. ص٢٨٨.. ومجلة (لغة العرب).. ج٧ السنة السابعة (١٩٢٩م).. ص٥٥٧، ٥٦١.. ومعالم حلب الأثرية.. عبد الله حجار)..

• أما السيدة زينب بنت علي - رضي الله عنهما - فقد ماتت بالمدينة ودفنت بالبقيع.. إلا أن قبراً منسوبا إليها أقامه الشيعة في دمشق.. (انظر: عبد الله بن محمد بن خميس.. شهر في دمشق.. ص ٦٧)..

ولا يقل عنه جماهيرية الضريح المنسوب إليها في القاهرة.. ولم تذكر كتب التاريخ أبداً أنها جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات..



• وأهل الإسكندرية بمصر يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن أبا الدرداء رضي الله عنه مدفون في الضريح المنسوب إليه في مدينتهم.. ومن المقطوع به عند أهل العلم أنه لم يدفن في تلك المدينة.. (انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٣٣)..

• وقل مثل ذلك في مشهد السيدة رقية بنت الرسول ﷺ بالقاهرة.. الذي أقامته زوجة الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله.. وضريح السيدة سكينة بنت الحسين ابن علي - رضي الله عنهم -..

• ومن أشهر الأضرحة أيضا: ضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بالنجف بالعراق.. وهو قبر مكذوب فإن علياً دفن بقصر الإمارة بالكوفة..

• وفي البصرة قبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رغم أنه مات بالمدينة ودفن بالبقيع..

• وفي حلب ضريح لجابر بن عبد الله رضي الله عنه مع أنه توفي في المدينة..

• بل ينسب الناس في الشام قبراً إلى (أم كلثوم) و (رقية) بنتي رسول ﷺ مع أنهما زوجتا عثمان رضي الله عنه.. وماتتا في المدينة النبوية.. في حياة النبي ﷺ ودفنهما النبي ﷺ في البقيع في المدينة..

• ومن المقابر المكذوبة باتفاق أهل العلم القبر المنسوب إلى هود عليه السلام بجامع دمشق.. فإن هوداً لم يجئ إلى الشام.. وهناك قبر منسوب إليه في حضرموت..

• وفي حضرموت أيضا قبر يزعم الناس أنه لصالح عليه السلام.. رغم أنه مات بالحجاز.. وله أيضاً عليه السلام قبر في يافا بفلسطين.. التي بها كذلك مزار لأيوب عليه السلام..

مقام الشيخ بركات..

انظر كيف تلاعب الشيطان بعقول الناس.. حتى صرفهم عن عبادة رب الأرض والسموات.. إلى تعظيم الأموات.. بل تعظيم التراب والرفات..

وقد تبدأ المسألة أحياناً بإشاعة عن قبر من القبور.. وأنه لزائره نافع.. ولداعيه شافع.. حتى تنتشر قصص الكرامات بين الناس.. فتتحول إلى حقيقة.. ثم تبدأ صور الشرك تظهر عنده.. من طواف عليه.. ودعاء له من دون الله.. كما يقع عند أكثر ما تقدم من قبور.. سواء كانت نسبة القبر إلى صاحبه صحيحة او مختلقة..

وهذا يذكرني بما حكاه أحدهم عن قصة ضريح الشيخ بركات.. وهذه القصة وقعت بين شابين هما عادل وسعيد.. تخرجا من الجامعة.. ثم توظفا مدرسين في قرية ينتشر فيها تعظيم القبور.. والاغترار بالنذور.. فقد كان عادل يتبادل الحديث مع سعيد وهما في طريقهما إلى المدرسة في القرية..

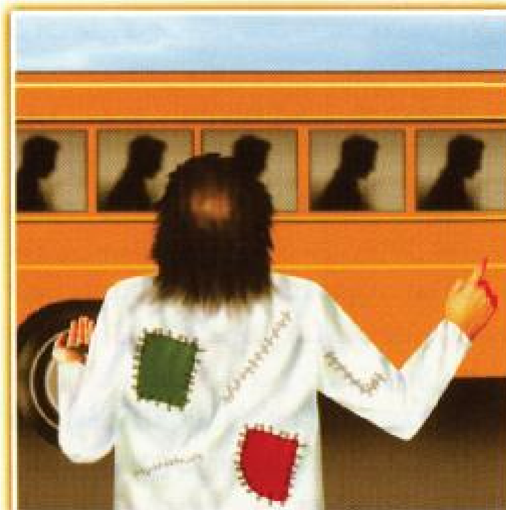
وفجأة صعد الحافلة متسول نصف معتوه.. كبير في السن يهتز ويتأرجح.. ويمسح لعابه بكمه المتهدل المتسخ.. يستجدي الركاب ويتهدد ويتوعد.. يهددهم بأنه سيدعو عليهم بأن تنقلب الحافلة بهم في عرض الطريق.. ويدعي أنه مستجاب الدعوة..

ويبدو أن سعيدا قد نشأ في أسرة.. متأثرة كثيراً بالكرامات والأولياء.. والأبدال والأوتاد! حيث فزع واضطرب.. ثم طلب من عادل أن يبادر إلى إعطائه بعض الدراهم خشية أن تنقلب الحافلة فعلاً.. لأن المتسول المذكور (عبد الكريم أبو شطة) من الدراويش المباركين المستجابي الدعوة..

فتعجب عادل وقال: نعم.. أهل السنة والجماعة يؤمنون بالكرامات.. ولكن هي للصالحين الأتقياء.. العاملين الأخفياء.. وليست لأمثال هذا من المجاذيب.. الذين يتأكلون بدينهم..

فصاح به سعيد: لا تقل ذلك.. فإن الأحاديث عن الخوارق التي جرت على يديه يتناقلها الصغير والكبير.. وسترى بعد قليل أنه سينزل ونمضي نحن في الحافلة.. ويسبقنا إلى القرية التالية ماشياً.. حيث سينتظرنا هناك.. نعم.. كرامة.. هل تنكر الكرامات؟

عادل: أنا لا أنكر الكرامات بشكل مطلق.. فالله قادر أن يكرم من شاء من عباده.. لكن أن تصبح الكرامات طعامنا وشرابنا وتدخلنا في باب إشراك هؤلاء العبيد والأموات مع الله سبحانه وتعالى في الخلق والأمر والتصرف في الكون.. حتى نصبح نخافهم ونتقي غضبهم.. فلا..



سعيد: يعني أنت لا تصدق أن الشيخ أحمد أبو سرود قد جاء من عرفات إلى استانبول وأكل الكبة المشوية عند أهله وعاد ليلاً إلى عرفات ؟

عادل: يا سعيد.. بارك الله في عقلك أهذا الذي تعلمته في الجامعة؟

سعيد: بدأنا بأسلوب السخرية!

عادل: أنا لا أسخر منك.. ولكن أن يكون كلام العوام وخرافاتهم كلاماً منزلاً محكماً لا يقبل النقد.. فلا..

سعيد: ولكن هذه الكرامات لا ينقلها العوام فقط.. بل إن ساداتنا المشايخ ينقلون كثيراً منها عن أصحاب المقامات والأضرحة.

عادل: طيب يا سعيد ما رأيك لو برهنت لك برهاناً عملياً أن كل هذه المقامات والأضرحة خلط ودجل؟ وأن كثيراً من هذه الأضرحة لا حقيقة لها.. فلا قبر.. ولا مقبور.. ولا ولي.. وإنما إشاعات ودجل انتشر عند الناس حتى صدقوه.. فانتفض سعيد وأخذ يردد: أعوذ بالله! أعوذ بالله!

ثم سكتا قليلاً.. وسارت الحافلة حتى وصلت بهم إلى الدوار الموصل إلى قريتهم.. فالتفت عادل إلى سعيد.. وقال: هل يوجد على هذا الدوار قبر أو مقام أو ضريح لأحد الأولياء يا سعيد؟

سعيد: لا.. وهل يعقل أن يدفن ولي في عرض الطريق.. وفي دوار..

عادل: إذاً ما رأيك لو أشعنا في القرية أن على هذا الدوار قبراً قديماً لأحد الصالحين قد اندرس وضاعت معالمه؟ وألفنا قصصاً في كراماته.. واستجابة الدعاء عنده.. وننظر هل سيصدق الناس أم لا..

وأنا متأكد أن الناس ستحمل هذه الإشاعة محمل الجد.. وربما يقيمون في العام القادم مقاماً أو ضريحاً كبيراً للشيخ المزعوم! ويدعونه من دون الله.. وهو تراب على تراب.. لو حفروا حتى يصلوا الأرض السفلى لما وجدوا شيئاً..

سعيد: دعك من هذا يا رجل.. وهل تظن الناس أغبياء.. سفهاء إلى هذا الحد؟

عادل: طيب.. أنت ماذا تخسر إذا تعاونت معي؟ ووافقتني.. أم أنت خائف من النتيجة..

سعيد: لا لست خائفاً.. ولكن! أنا غير مقتنع..

عادل: حسناً.. بما أنك نصف موافق فما رأيك أن نطلق على الشيخ المزعوم اسم: الشيخ بركات؟ سعيد: طيب..كما تشاء..

واتفق عادل وسعيد على إشاعة الأمر بأسلوب هادئ بين زملائهم المدرسين في المدرسة.. وعند الحلاقين - باعتبار أن دكان الحلاق من أهم وسائل الإعلان - فلما وصلا القرية.. نزلا من الحافلة وتوجها إلى دكان الحلاق سليم.. فدخلا وحدثا الحلاق عن الأولياء.. وأن أحد الأولياء الصالحين مدفون منذ سنين.. وله مكانة عند الله.. وأن المستغيثين به قليل..

فسألهم الحلاق عن مكان قبره.. فأخبراه أنه عند الدوار الذي في مدخل القرية..

فقال الحلاق: الحمد لله الذي أكرمنا بولي في قريتنا.. كنت أتمنى هذا منذ زمن.. هل من المعقول أن القرى المجاورة "الجديدة" و"أم الكوسا" عندهم عشرات الصالحين.. ونحن لا يوجد عندنا ولا مقام واحد؟

قال عادل: الشيخ بركات يا حاج سليم كان من كبار الصالحين وكانت له مكانته عند الباب العالي..

فصاح الحلاق: إذاً أنت تعرف كل هذه المعلومات عن الشيخ بركات قدس الله سره وتسكت!!

ثم انتشر الخبر في القرية انتشار النار في الهشيم..

وبدأ الناس من كثرة حديثهم عنه.. يرونه في المنام..

وأخذوا يتحدثون في مجالسهم عن طوله الفارع.. وعمامته الضخمة.. وكراماته التي لا تحصى.. وكيف أن المئذنة كانت تنزل إليه إذا دخل وقت الأذان.. و.. و.. وبدأ الحديث في المدرسة بين أخذ ورد بين الأساتذة جميعاً..

فلما زاد الأمر عن حده.. لم يطق الأستاذ سعيد صبراً.. فصاح بهم.. أيها العقلاء.. دعوكم من هذه الخرافات يا ناس.. فقالوا بصوت واحد: خرافات.. تعني أن الشيخ بركات غير موجود؟

سعيد: طبعاً غير موجود.. وليس لقبره حقيقة.. وهذه مجرد إشاعة.. والدوار تراب فوق تراب.. لا شيخ ولا ولي ولا مقام..



فانتفض المدرسون: ما الذي تقوله يا رجل؟ وكيف تجرؤ أن تقول هذا عن الشيخ بركات؟ الشيخ بركات هو الذي انفجر الينبوع الغربي في القرية على يديه.. وهو الذي..

اضطرب سعيد من كثرة صياحهم.. لكنه قال: لا



تعطوا عقولكم لغيركم.. أنتم عقلاء ومتعلمون.. وليس كلما حدثكم أحد عن قبر أو ضريح.. أو تلاعب الشيطان بعقولكم في النوم صدقتموه..

عندها.. دخل مدير المدرسة في النقاش فقال: ولكن صفات الشيخ موجودة وأكيدة.. ألم تقرأ ما كتبت عنه الجريدة البارحة؟

فعجب سعيد.. وسأله: حتى الجريدة!! وماذا كتبت؟ قال المدير: تحت عنوان "اكتشاف مقام الشيخ بركات"

كتبت تقول: ولد الشيخ بركات - قدس الله سره - عام ١١٠٠هـ وهو من سلالة سيدنا خالد بن الوليد.. وقد درس على عدد كبير من العلماء منهم فلان وفلان.. ولقد اشترك مع الجيش التركي في إحدى معاركه مع الصليبيين..

ولما اشتد القتال مع الصليبيين.. استبد به الحماس فنفخ عليهم من فمه.. فأثار رياحاً وزوبعة ضخمة.. رفعت جيش الصليبيين مسافة مائة متر في الهواء.. وسقطوا جميعاً مضرجين بدمائهم..

قال سعيد: ما شاء الله!! ومن أين جاء الصحفي بهذه المعلومات الدقيقة عن الشيخ بركات؟!!!

قال المدير: هذه حقائق.. أتظنه جاء بها من بيت أبيه؟!!.. هذا تاريخ..

قال سعيد: ولكن هذه دعوى وتحتاج إلى دليل.. فالبينة على من ادعى.. وعلي وعليك التثبت من صحة أي دعوى.. وإلا ادعى كل واحد منا ما يحلو له.. قبور.. أولياء.. كرامات..

ثم صاح بهم سعيد.. يا جماعة.. بصراحة: مقام الشيخ بركات.. قضية مختلقة.. وإشاعة ملفقة.. اخترعتها أنا والأستاذ عادل.. لنثبت بها غوغائية الناس وجهلهم.. وعدم تثبتهم.. وهذا الأستاذ عادل أمامكم فاسألوه إن شئتم.. فالتفتوا إلى عادل وقالوا: الأستاذ عادل رجل يحب الجدل مثلك.. وكل قضية يطلب عليها دليل.. وهو حاقد على الأولياء والصالحين..

ومهما ادعيت أنت وعادل.. فنحن مؤمنون بأن الشيخ بركات - قدس الله سره - موجود من زمن الأجداد.. والدنيا لا تخلو من الأولياء والصالحين ومقاماتهم.. نعوذ بالله من الضلال!!

فسكت عادل وسعيد.. وقرع الجرس وانصرف الأساتذة إلى الدروس..

وسار الأستاذ سعيد مذهولاً مما رأى يحدث نفسه: الشيخ بركات.. كرامات.. معقول؟ غير معقول!..

أيمكن أن يكون كل هؤلاء مخطئين!!؟ والجريدة كاذبة؟

غريب!! والمشايخ بالأمس اجتمعوا في الدوار وأقاموا الحضرة والاحتفال للشيخ بركات؟ لكن الشيخ بركات اخترعه الأستاذ عادل!! أيمكن أن يكون الخرف أصابهم جميعاً؟ غير ممكن!! غير ممكن!!

وبدأت تتسرب إلى ذهن سعيد فكرة جديدة.. ربما أن الشيخ بركات موجود فعلاً.. وربما أن الأستاذ عادل يعلم ذلك مسبقاً.. لكنه أوهمه أنه هو الذي اخترع وجود الشيخ بركات.. فكر الأستاذ سعيد في ذلك.. لكنه استعاذ من الشيطان ليبعد هذه الفكرة من عقله.. لكنه لم يفلح..

وفي اليوم التالي.. استمر النقاش في المدرسة على هذا المنوال.. وكان العام الدراسي في أواخره.. وانتهت المناقشات بذهاب كل أستاذ إلى بلده عندما حانت العطلة الصيفية..

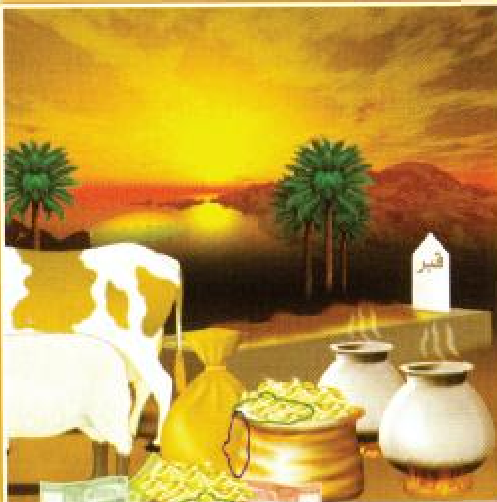
وفي العام التالي ركب الأستاذ عادل والأستاذ سعيد الحافلة ذاهبين إلى المدرسة في القرية.. وكان الأستاذ عادل قد نسي الموضوع تماماً.. مع أنه هو الذي اخترع القضية وأشاعها..

لكنه انتبه إلى الأستاذ سعيد وهو يتمتم بلسانه بأذكار وأدعية عندما اقتربوا من دوار القرية.. وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما وصلوا إلى الدوار.. فوجدوا بناءاً جميلاً لمقام الشيخ بركات ينتصب شامخاً على الدوار.. وبجانبه مسجد كبير فخم على الطراز المعماري التركي..

ابتسم الأستاذ عادل وعلم أن الناس مساكين سفهاء.. وأن الشيطان قد أفلح في نشر الشرك بينهم..

فالتفت إلى الأستاذ سعيد.. ليشاركه التبسم..

لكنه فوجئ أن الأستاذ سعيد كان غائباً في ادعيته.. بل صاح سعيد بالسائق.. طالباً منه أن يتوقف قليلاً.. ثم رفع يديه وقرأ الفاتحة على روح الشيخ بركات..



(مجلة البيان - بتصرف)

ماذا يفعلون هناك؟

يقصد كثير من القبوريين الأضرحة حاملين معهم الأغنام والأبقار.. والسكر والقهوة والشاي.. وأنواع الأطعمة إضافة إلى الأموال.. ليقدموها قرباناً إلى صاحب الضريح.. وقد يذبحون الأنعام تقرباً أيضاً للولي أو الشيخ.. ويطوفون بالقبر ويتمرغون بترابه.. ويطلبون قضاء الحوائج وتفريج الكربات منه..

بل تجد أن هؤلاء المفتونين.. يحلفون بالأموات والمقبورين.. فإذا أراد أحدهم أن يحلف على شيء لم يقبلوا منه أن يحلف بالله.. بل لو حلف بالله وقال: والله العظيم.. أو أقسم بالله.. ما قبلوا منه ولا صدقوه.. فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه..

وقد آل الأمر ببعض هؤلاء إلى أن شرعوا للقبور حجاً.. ووضعوا له مناسك.. حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه: (مناسك حج المشاهد) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام..

بل إنهم مبالغة منهم في البدعة والشرك.. جعلوا لزيارة الضريح آداباً.. فينبغي أن يخلع الزوار نعالهم عند زيارة الضريح.. احتراماً لصاحب الضريح.. ويتم دخول القبة بإذن من حارسها..

كما يتولى خادم الضريح (تطويف) الزوار حول الضريح كما يطوف المسلمون حول الكعبة.. ويتبرك الزوار بالضريح والقبة بطرق شتى: فمنهم من يأخذ من ترابها.. ومنهم من يضع يديه على السياج المعدني الذي حول القبر ويتمسح بها.. ثم يمسح على جسده وملابسه.

وإذا دخلت الضريح رأيت أعاجيب العبادة لغير الله..

دعاء المقبور والاستعانة به والإلحاح عليه في الدعاء..

بل ترى المرأة ترفع طفلها.. وتهزه وهي تخاطب الشيخ المقبور راجية منه البركة في صغيرها.. ترى من يسجد وهو مستقبل القبر.. إضافة إلى تقديم النذور عند هذه القباب..

ومن الناس من يعكف عند القبور أياماً وشهوراً.. التماساً للشفاء أو لقضاء حاجة.. وقد ألحقت ببعض القباب غرف انتظار الزائرين لهذا الغرض..

كما يظهر على الزائر الخشوع والسكينة والتأثر الذي قد يصل إلى حد البكاء.. فصار هؤلاء المقبورون آلهة من دون الله.. والله لا يرضى أن يعبد معه نبي ولا ملك.. فكيف إذا عُبد معه غيرهم..

تشابهت قلوبهم..

هؤلاء المقبورون لا يستطيعون نصر أنفسهم.. ولا نفعها.. فضلاً عن نفع غيرهم.. وما أقرب حال من يعظمونهم ويخافونهم.. من حال وفد ثقيف لما أسلموا فخافوا من صنم عندهم.. وهو لا يضر ولا ينفع..

فقد ذكر موسى بن عقبة: لما تمكن الإسلام في الناس.. بدأت القبائل ترسل وفودها لتعلن إسلامها بين يدي النبي ﷺ..

فأقبل بضعة عشر رجلا من قبيلة ثقيف.. إلى النبي ﷺ.. فأنزلهم المسجد ليسمعوا القرآن.. فلما أرادوا إعلان إسلامهم.. نظر بعضهم إلى بعض فتذكروا صنمهم الذي يعبدون.. وكانوا يسمونه الربة..

فسألوا النبي ﷺ.. عن الربا والزنا والخمر فحرم عليهم ذلك كله..

فأطاعوا.. ثم سألوه عن الربة.. ما هو صانع بها؟

قال: اهدموها.. قالوا: هيهات!! لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها.. قتلت أهلها.. ومن حولها..

فقال عمر رضي الله عنه: ويحكم ما أجهلكم!! إنما الربة حجر..

قالوا: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب..

ثم قالوا: يا رسول الله.. تولَّ أنت هدمها. أما نحن فانا لن نهدمها أبدا..

فقال ﷺ: سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها.. فاستأذنوه أن يرجعوا إلى قومهم..

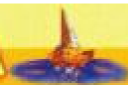
فدعوا قومهم إلى الإسلام..

فأسلموا ومكثوا أياماً.. وفي قلوبهم وجل من الصنم.. فقدم عليهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في نفر من الصحابة.. فأقبلوا إلى الصنم وقد اجتمع الرجال والنساء والصبيان..

وهم يرتجفون.. وقد أيقنوا أنها لن تنهدم.. وسوف تقتل من يمسها..

فأقبل عليها المغيرة بن شعبة.. فأخذ الفأس.. وقال





لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف.. فضربها بالفأس.. ثم سقط يرفس برجله.. فصاح الناس.. وظنوا أن الصنم قتله.. ثم قالوا لخالد بن الوليد ومن معه: من شاء منكم فليقترب..

فلما رأى المغيرة فرحتهم بنصرة صنمهم.. قام فقال: والله يا معشر ثقيف.. إنما هي لكاع.. حجارة ومدر.. فاقبلوا عافية الله واعبدوه.. ثم ضربها فكسرها.. ثم علا الصحابة فوقها فهدموها حجراً حجراً..

واليوم.. جميع هذه الأضرحة والقبور.. لو جاءها موحِّد فهدما على رؤوس أصحابها لما استطاعت الانتقام لنفسها..

كيف نشأ الشرك؟!

لو تأملت كيف نشأ الشرك على الأرض.. لوجدت أنه الغلو في الصالحين ورفعهم فوق منزلتهم..

ففي قوم نوح.. كان الناس موحدين..يعبدون الله وحده لا شريك له.. ولم يكن شرك على وجه الأرض أبداً

وكان فيهم خمسة رجال صالحين.. هم وُد وسواع ويغوث ويعوق ونسر.. وكانوا يتعبدون.. ويعلمون الناس الدين.. فلما ماتوا.. حزن عليهم قومهم.. وقالوا: ذهب الذين كانوا يذكروننا بفضل العبادة.. ويأمروننا بطاعة الله..

فوسوس الشيطان لهم قائلاً: لو صوَّرتم صورهم.. على شكل تماثيل.. ونصبتموها عند مساجدكم.. فإذا رأيتموهم ذكرتم العبادة فنشطتم لها.. فأطاعوه.. فاتخذوا الأصنام رموزاً.. لتذكرهم بالعبادة والصلاح!..

فكانوا فعلاً.. يرون هذه الأصنام فيتذكرون العبادة.. ومضت السنين.. وذهب هذا الجيل.. ونشأ أولادهم من بعدهم.. وكبروا وهم يرون آباءهم يثنون على هذه التماثيل والأصنام.. ويعظمونها.. لأنها تذكرهم بالصالحين..

ثم نشأ قوم بعدهم.. فقال لهم إبليس: (إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها.. وكانوا إذا أصابهم قحط أو حاجة لجئوا إليها) فاعبدوها..

فعبدوها.. حتى بعث الله إليهم نوحاً عليه السلام.. فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.. فما آمن معه إلا قليل.. فغضب الله على الكافرين.. فأهلكهم بالطوفان.. هذا ما حدث في قوم نوح عليه السلام.. فكيف نشأ الشرك في قوم إبراهيم؟ كانوا يعبدون الكواكب والنجوم.. ويرون أنها تتحكم في الأكوان.. تكشف الكربات.. وتجيب الدعوات.. وتهب الحاجات..

يعتقدون أن هذه الكواكب (وسطاء) بين الله وخلقه.. وأنهم موكول إليهم تصريف هذا العالم..

ثم لم يلبثوا أن صنعوا أصناما.. على صور الكواكب والملائكة.. وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها أولاده فيبيعونها.. وكان يلزم إبراهيم للخروج لبيع الأصنام.. فكان إبراهيم ينادي عليها: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟

فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم.. ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي.. ثم دعا أباه وقومه إلى نبذ هذه الأصنام.. فلم يستجيبوا له..

فحطم أصنامهم.. فحاولوا إحراقه فأنجاه الله من النار..

الوارثون للشرك..؟؟

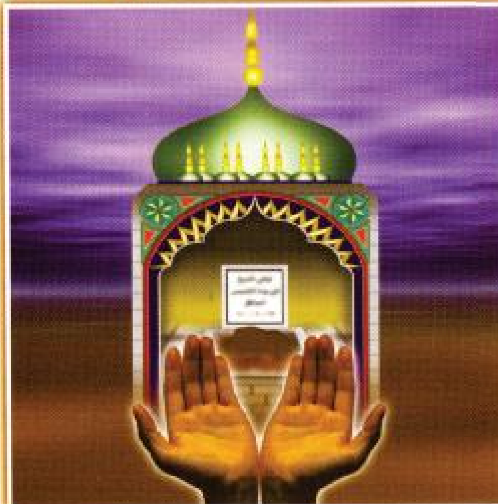
هذا حال قوم نوح وإبراهيم..

واليوم نأتي إلى القبوريين فنسأل: كيف تبدأ علاقتهم بالقبر أو الضريح؟ وكيف تنتهي بهم إلى الشرك؟

تبدأ العلاقة بتقديس الأشخاص.. ذوي الصلاح والتقوى..

ومن ثم: تستحب زيارة تلك البقاع.. ليس لتذكر الموت والآخرة.. بل لتذكر الشيخ الصالح والاعتبار به.. ثم دعاء الله عندها رجاء الإجابة.. ثم لمس القبر وتقبيله.. والتمسح به..

ثم اتخاذه (واسطة) و (وسيلة) للاستشفاع به عند الله.. ويزعمون أن صاحب الضريح طاهر مكرم.. مقرب معظم.. له جاه عند الله.. بينما صاحب الحاجة متلطخ بالذنوب.. لا يصلح أن يدعو الله مباشرة.. فلا بدَّ أن يجعل صاحب القبر واسطة بينه وبين الله!!



ثم يقذف الشيطان في قلوب الزائرين.. يقول لهم: ما دام هذا المقبور مكرماً فقد يعطيه الله تصرفاً وقدرة.. فيبدأ الزائر يعظم المقبور في

نفسه.. ويهابه.. ويرجوه.. ثم بعد ذلك يدعوه.. ويستغيث به.. ثم يبني عليه مسجداً.. أو قبة وضريحاً..

ويوقد فيه القناديل.. ويعلق عليه الستور.. ويعبده بالسجود له.. والطواف به.. وتقبيله واستلامه.. والحج إليه.. والذبح عنده.. ثم ينسجون حوله الكرامات.. والقصص والحكايات.. فهذه امرأة دعته فرزقت زوجاً.. والثانية أنجبت ولداً.. وهكذا..

وبعضهم يردد قائلاً.. من زار الأعتاب ما خاب.. أي: من زار الأضرحة والأعتاب (المقدسة).. قضيت حاجته ونال مراده..

بل سئل أحد التجار: لماذا تقسم للزبائن بضريح الشيخ.. ولا تقسم بالله؟

فقال: إنهم هنا لا يرضون بالقسم باسم الله.. ولا يرضون إلا بالقسم بضريح سيدنا فلان.. فانظر كيف صار تعظيمهم للضريح أكبر من تعظيمهم لله!!

وما دام الأمر كذلك.. فما الفرق بين كوم تراب.. وحجارة وأخشاب.. أو ضريح ومقام.. أو صور وأصنام.. أو أي شيء من المخلوقات؟ لا فرق.. المهم وجود (السر) والتوجه إلى صاحبه!.. واعتقاد أنه يضر وينفع.. ويغني ويشفع..

وما أقرب حال هؤلاء بما حكاه أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه.. لما قال: كنا في الجاهلية نعبد الأصنام.. والأحجار والأشجار..

فكان أحدنا يعبد حجراً.. فإذا رأى حجراً آخر أمثل منه.. ألقى حجره وعبد الآخر.. فإذا لم نجد حجراً جمعنا جُثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به..

فخرجنا مرة في سفر.. ومعنا إلهنا الذي نعبده.. حجر قد جعلناه في خُرج.. فكنا إذا أشعلنا ناراً لطعام فلم نجد حجراً ثالثاً للقدر.. وضعنا إلهنا.. وقلنا: هو أدفأ له إذا اقترب من النار..

فنزلنا منزلاً يوماً.. وأخرجنا الحجر من الخُرج..فلما ارتحلنا صاح صائح من قومي فقال: ألا إن ربكم قد ضل فالتمسوه..

فركبنا كل بعير صعب وذلول نبحث عن ربنا..

فبينما نحن نبحث إذ سمعت صائحاً آخر من قومي يقول: ألا إني قد وجدت ربكم.. أو رباً يشبهه..

فرجعت إلى موضع رحالنا.. فرأيت قومي ساجدين عند صنم.. فأتينا فنحرنا عنده الإبل.. فاعجب من جهلهم في جاهلية ما قبل الإسلام.. واعجب أكثر من جاهليتهم اليوم..

بالله عليك ما الفرق بين يعبد حجراً.. ومن يعبد قبراً.. بين من ينزل حاجاته بأصنام.. ومن ينزلها برفات وعظام.. بين من يتعبد لقبور الأولياء.. ومن يتعبد لطين وماء..

نعم كل هؤلاء يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى..

وهذا ما أوقع القبوريين في وثنية صريحة لا شك فيها ولا خفاء..

أربعة اعتراضات..

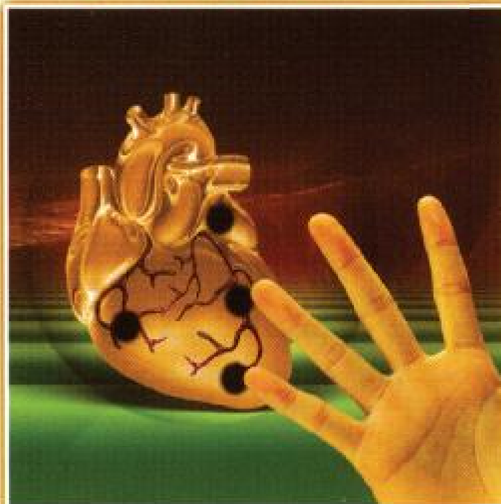
الأول: قد يقول بعض المتعلقين بالقبور.. الداعين لها.. أنتم تشددون علينا.. فنحن لا نعبد الأموات.. لكن هؤلاء المقبورين أولياء صالحين.. لهم عند الله جاه ومكان.. فهم يشفعون لنا عند الله..

فنقول: هذا هو شرك كفار قريش في عبادتهم للأصنام..

فمشركو العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.. وأن الخالق الرازق المدبر هو الله وحده لا شريك له.. كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ يونس: ٣١.

ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ.. واستحل دماءهم.. وأموالهم.. لأنهم لم يفردوا الله عز وجل بجميع أنواع العبادة..

والآيات القرآنية.. والأحاديث النبوية.. التي حذرت من عبادة غير الله.. بينت أن الشرك بالله هو أن يجعل العبد لله نداً شريكاً في العبادة سواءً كان صنماً أو حجراً.. أو نبياً أو ولياً أو قبراً..



نعم الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به الله سبحانه سواءً أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية كالصنم والوثن.. أو أطلق عليه اسماً آخر كالولي والقبر والمشهد.. ولو ظهرت

علينا اليوم فرقة جديدة من الفرق.. وادعت أن لله صاحبة وولداً لصار حكمهم حكم النصارى.. وانطبقت عليهم الآيات التي نزلت في النصارى.. وإن لم يسموا أنفسهم نصارى.. لأن حكمهما واحد.. فكذلك عباد القبور اليوم..

الثاني: وقد يعترض بعض المتعلقين بالقبور.. ويقولون: نحن نتقرب إلى المقبورين.. من الأولياء والصالحين.. من أجل طلب الشفاعة.. فهؤلاء الموتى قوم صالحون كانوا في الدنيا صوامين في النهار.. بكائين في الأسحار.. فلهم جاه وقدر عند الله.. نحن نطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله..

فنقول لهم.. يا قوم.. ويحكم أجيبوا داعي الله وآمنوا به..

إن الله قد سمى اتخاذ الشفعاء شركاً.. فقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس: ١٨.

ونقول لهم أيضاً.. نحن نؤمن معكم.. بأن الله تعالى أعطى الأنبياء والأولياء الشفاعة.. وهم أقرب الناس إليه.. لكن ربنا نهانا عن سؤالهم ودعائهم..

نعم.. الأنبياء والأولياء والشهداء.. لهم شفاعة عند الله.. ولكنها ليست بأيديهم يشفعون لمن شاؤوا.. ويتركون من شاؤوا.. كلا.. بل لا يشفعون إلا بعد أن يأذن الله لهم.. ويرضى عن المشفوع..

الثالث: وقد يعترض بعض المتعلقين بالقبور فيقولون..

إن الكثير من المسلمين في القديم والحديث يبنون على القبور.. ويتخذون المشاهد والقباب.. ويتحرون الدعاء عندها.. فهل الأمة كلها على باطل.. وأنتم على الحق..

فنقول لهم: أكثر هذه المشاهد والأضرحة مكذوبة.. لا تصح نسبتها إلى أصحابها.. كما تقدم..

وأيضاً.. فإن البناء على القبور وتحري الدعاء عندها.. من البدع المنكرة..

كما في قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذِّر ما صنعوا» متفق عليه..

الرابع: وهنا شبهة.. قد يقذفها الشيطان في بعض القلوب.. وهي أن قبر النبي ﷺ قد ضُمن المسجد النبوي دون نكير.. ولو كان ذلك حراماً لم يدفن فيه..

كما يحتجون بوجود القبة على قبره ﷺ..

والجواب: أن النبي ﷺ دفن حيث مات.. والأنبياء يدفنون حيث يموتون كما جاءت بذلك الأحاديث..

فدفن في حجرة عائشة رضي الله عنها.. فلم يدفن في المسجد.. وإنما دفن في الحجرة.. هذا في أول الأمر..

والصحابة رضي الله عنهم دفنوه في حجرة عائشة كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجداً.. كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.. قالت: فلولا ذلك أُبرزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً) أخرجه البخاري ومسلم..

نعم دفن أول الأمر في بيت عائشة.. وكان بيت عائشة ملاصقاً للمسجد من الجهة الشرقية..

ومضت السنوات.. والناس يكثرون.. والصحابة يوسعون المسجد من جميع الجهات.. إلا من جهة القبر..

وسعوه من جهة الغرب والشمال والجنوب.. إلا الجهة الشرقية فلم يوسعوه منها لأن القبر يحجزهم عن ذلك..

وفي سنة ثمان وثمانين.. أي بعد وفاة النبي ﷺ بسبع وسبعين سنة.. وبعدما مات عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة.. أمر الخليفة الوليدُ بن عبد الملك بهدم المسجد النبوي لتوسعته.. وأمر بتوسعته من جميع الجهات.. وإضافة جميع حُجر أزواج النبي ﷺ.. عندها وسع من الجهة الشرقية.. وأدخلت فيه الحجرةَ النبويةَ حجرة عائشة رضي الله عنها.. فصار القبر بذلك في المسجد..

(انظر: الرد على الأخنائي، ص ١٨٤، ومجموع الفتاوى، ٢٧ـ ٣٢٣، تاريخ ابن كثير، ٩/ ٧٤)



فهذه قصة القبر والمسجد..

إذن.. لا يصح لأحد أبداً.. أن يحتج بما وقع بعد الصحابة رضي الله عنهم.. لأنه مخالف للأحاديث الثابتة.. وما فهمه سلف الأمة.. وقد



أخطأ الوليد بن عبد الملك - عفا الله عنه - في إدخاله الحجرة النبوية ضمن المسجد.. لأن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور.. وكان الأصل أن يوسَّعَ المسجد من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة النبوية..

وكذلك القبة التي فوق قبره ﷺ.. فإنها ليس بناؤها منه ﷺ.. ولا من الصحابة رضي الله عنهم ولا من تابعيهم ولا تابعي التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته.. بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين.. وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨هـ..

(انظر: تحذير الساجد للألباني، ص ٩٣، وصراع بين الحق والباطل، لسعد صادق، ص ١٠٦، تطهير الاعتقاد، ص ٤٣)

نــداء.. نــداء..

أقول للمتعلقين بالمقبورين.. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به..

بالله عليكم.. هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً.. أو يرجون بشراً ؟ أو يتوسلون بضريح ومقام؟ ويغفلون عن الملك العلام؟

وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي ﷺ أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته.. يسأله قضاء حاجة من الحاجات.. أو تفريج كربة من الكربات؟

وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين.. والصحابة والتابعين؟

وانظر إلى الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه في المدينة النبوية.. لما أجدبت الأرض.. وانقطع القطر.. وشكوا ذلك إلى عمر رضي الله عنه..

خرج بهم ثم صلى صلاة الاستسقاء.. ثم رفع يديه وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بدعاء نبينا لنا فأسقيتنا.. اللهم وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبيك ﷺ.. ثم التفت إلى العباس رضي الله عنه وقال: قم يا عباس فادعُ الله أن يسقينا.. فقام العباس ودعا الله تعالى.. وأمن الناس على دعائه وبكوا وابتهلوا.. حتى اجتمع فوقهم السحاب وأمطروا»..

فانظر إلى الصحابة الكرام.. وهم أكثر منا فقهاً.. وأعظم محبة للنبي ﷺ.. لما أصابتهم الحاجات.. ونزلت بهم الكربات.. ما ذهبوا إلى قبر نبيهم ﷺ.. وقالوا: يا رسول الله!! اشفع لنا عند الله.. كلا.. فهم يعلمون أن دعاء الميت لا يجوز وإن كان نبياً مرسلاً.. أو ولياً مقرباً..

فهم إذا أرادوا الحاجات.. التمسوا كشف الكربات بالدعوات الصالحات..

فآه ثم آه.. لمساكين اليوم يزدحمون على عظام ورفات.. يلتمسون منها المغفرة والرحمات..

يا قومنا.. ويحكم.. هل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل.. نهى عنها عبثاً ولعباً.. أم أنه خاف أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟ بعبادة الصور والتماثيل؟

وأي فرق بين من يعظم الصور والتماثيل.. وبين من يعظم الأضرحة والقبور.. ما دام كل منها يجر إلى الشرك.. ويفسد عقيدة التوحيد؟

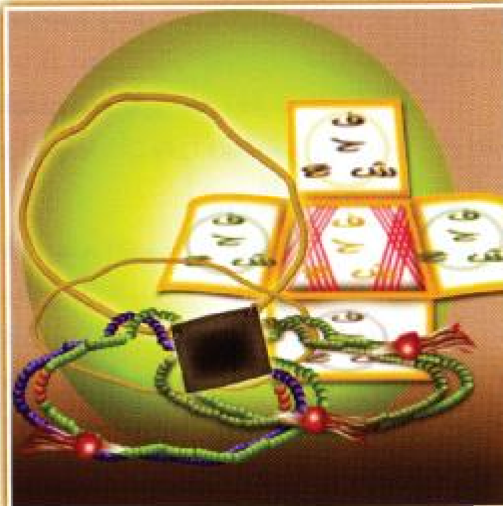
ومن وسائل الشرك.. الحلف بغير الله

فلا يجوز الحلف بالكعبة.. ولا بالأمانة.. ولا بالشرف.. ولا ببركة فلان.. ولا بحياة فلان.. ولا بجاه النبي.. ولا بجاه الولي.. ولا بالآباء والأمهات.. كل ذلك حرام.. لأن الحلف تعظيم لا يصح إلا لله..

وقد روى أحمد عن ابن عمر مرفوعاً: "من حلف بغير الله فقد أشرك"..

وقال ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».. فإذا حلف بغير الله.. وكان الحالف يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله فهو شرك أكبر.. وإن اعتقد أن المحلوف به أقل من الله.. فهو شرك أصغر..

ومن جرى على لسانه شيء من هذا بغير قصد.. فكفارته أن يقول: لا إله إلا الله ، كما روى البخاري أن النبي ﷺ قال: (من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله).. ومن كان الحلف بغير الله يجرى على لسانه.. فيجب أن يجاهد نفسه على تركه..



وبعضهم يحلف بالله كاذباً.. ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً.. ومن شرك الألفاظ الذي يجري على ألسنة بعض الناس.. كقول بعضهم: ما شاء الله وشئت.. أو: لولا الله وفلان.. أو: مالي إلا الله وأنت.. وهذا من بركات الله وبركاتك..

والصواب أن يقول: ما شاء الله ثم فلان.. ولولا الله ثم فلان..



ومن وسائل الشرك

تعليق التمائم والحروز والأوراق والحجب.. خوفاً من العين وغيرها.. فإذا اعتقد أن هذه مجرد أسباب وطرق لرفع البلاء أو دفعه.. فهذا شرك أصغر.. أما إن اعتقد أنها تتحكم وتدفع البلاء بنفسها.. فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.. وجعل لغير الله تصرفاً في الكون مع الله..

والتمائم نوعان:

النوع الأول: من القرآن: كمن يعلق قماشاً أو جلداً.. أو قطعة ذهب.. أو غيرها قد كتب عليه آيات من القرآن.. وهذه لا تجوز.. لأنها لم يرد فعلها عن النبي ﷺ وأصحابه.. وقد تجر إلى تعليق غيرها..

والنوع الثاني: من غير القرآن.. كمن يعلق ما كتب عليه أسماء الجن.. ورموز السحرة.. وهذا من وسائل الشرك عياذاً بالله..

قال ابن مسعود: من قطع تميمة من إنسان.. فكأنما أعتق رقبة.. ورأى حذيفة بن اليمان رجلاً قد علق في يده حلقة من صفر (حديد).. فقال له: ما هذا؟

قال: من الواهنة.. أي خوف العين..

فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً.. لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً..؟؟؟

وكذلك الرقى.. وهي الأذكار والأوراد التي تقرأ على المريض..

فالجائز منها ما كان بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته.. مثل أن يقرأ الفاتحة والمعوذات على المريض.. أو يدعو بشيء مما ورد في السنة النبوية..

أما ترديد أسماء الجن.. أو حتى ترديد أسماء الملائكة والأنبياء والصالحين.. فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر..

وكيفيتها: أن يقرأ وينفث عل المريض.. أو يقرأ في ماء ويسقاه المريض..

ومن الشرك.. ادعاء علم الغيب

فلا يعلم الغيب إلا الله وحده.. قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾..

فلا يمكن لأحد أبداً.. أبداً.. أن يعلم الغيب.. لا ملك مقرب.. ولا نبي مرسل.. ولا ولي متعبد.. ولا إمام متبع.. كلا.. كلا.. لا يعلم الغيب إلا الله..

إلا أن يكون رسولاً يوحى الله إليه شيئاً من المغيبات.. كما أخبر الله نبيه ﷺ بمكائد الكفار له.. وأشراط الساعة.. ونحو ذلك..

فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل.. كقراءة الكف أو الفنجان.. أو

النظر في النجوم.. أو الكهانة أو السحر..فهو كاذب كافر..

وما يحصل من المشعوذين والدجالين من الإخبار بالمفقودات أو الغائبات.. وعن أسباب بعض الأمراض.. إنما هو باستخدام الجن والشياطين..

وقد يذهب بعض ضعاف الإيمان إلى المنجمين فيسألهم عن مستقبله وعن زواجه.. وهذا حرام.. ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدعيه فهو مشرك كافر..

ومن ذلك اللجوء إلى أبراج الحظ في الجرائد والمجلات.. أو الاتصال هاتفياً على بعض من يدعي معرفة الغيب.. أو سؤالهم.. كل ذلك حرام..

ومن وسائل الشرك... السحر والكهانة والعرافة

والسحر هو: عزائم وكلام وأدوية وتدخينات.. وله حقيقة.. وقد يؤثر في القلوب والأبدان.. فيمرض.. ويقتل.. ويفرق بين المرء وزوجه..

وهو من أعظم الذنوب: قال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هي؟ قال: الإشراك بالله والسحر"..

فالسحر فيه استخدام الشياطين.. والتعلق بهم.. والتقرب إليهم بما يحبونه.. ليقوموا بخدمة الساحر.. وفيه أيضاً ادعاء علم الغيب.. وهذا كفر وضلال..

لذا قال تعالى: ﴿إنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾..

وحكم الساحر القتل.. كما فعل جماعة من الصحابة رضي الله عنهم..

والعجب أننا أصبحنا في زمان.. تساهل الناس فيه بالسحر.. وربما عدوا ذلك فناً من الفنون التي يفتخرون بها..



ويمنحون الجوائز لأصحابها..

ويقيمون للسحرة الحفلات..

والمسابقات.. ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين.. وهذا من التهاون بالعقيدة

وما أجمل أن يصنع بالساحر ما صنعه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه..

فإنه دخل على أحد الخلفاء فرأى بين يديه ساحراً.. يلعب بسيف في يده.. ويخيل

للناس أنه يضرب (يقطع) رأس الرجل ثم يعيده..

فجاء أبو ذر من اليوم التالي.. وقد لبس رداءه.. وخبأ سيفه تحته.. ثم دخل على الخليفة.. فإذا الساحر بين يديه يلعب بالسيف.. ويسحر أمام الناس.. وهم في عجب وإعجاب..

فاقترب منه أبو ذر.. ثم أخرج سيفه فجأة ورفع وهوى به على رقبة هذا الساحر.. فأطار رأسه.. فسقط الساحر صريعاً.. وقال أبو ذر: سمعت النبي ﷺ يقول: حد الساحر ضربة بالسيف..

ثم التفت إليه أبو ذر وقال: أحيي نفسك.. أحيي نفسك..؟؟؟ وقد قال ﷺ: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ".

ومما يجب التنبه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس.. بحيث يظهرون بمظهر المعالجين.. فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله.. بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا.. أو دجاجة..

وأحيانا يكتبون لهم الطلاسم الشركية.. والتعاويذ الشيطانية.. بصفة حروز يعلقونها في رقابهم.. أو يضعونها في صناديقهم.. أو في بيوتهم.. وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات.. كأن يضرب نفسه بالسلاح.. أو يضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه..

أو غير ذلك من الشعوذات.. التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان.. يجريه على أيديهم.. وشياطينهم تخنس عند ذكر الله..

كما ذكر أحد الشباب أنه سافر يوماً إلى إحدى الدول.. ودخل أحد مسارحها.. وأخذ ينظر إلى ما يسمى السيرك..

قال: وبينما نحن ننظر إلى الألعاب المتنوعة.. فإذا بامرأة تأتي ثم تمشي على حبل بقدرة عجيبة.. ثم قفزت على الجدار.. ومشت عليه كما تمشي البعوضة.. والناس قد أخذ منهم العجب منها كل مأخذ.. فقلت في نفسي.. لا يمكن أن يكون ما تفعله حركات بهلوانية تدربت عليها.. صحيح أنا عاص.. لكني موحد.. لا أرضى بمثل هذا فتحيرت ماذا أفعل ؟

فتذكرت إني حضرت خطبة جمعة عن السحر والسحرة.. وكان مما ذكر الشيخ أن السحرة يستعملون الشياطين.. وأن الشياطين يبطل كيدها.. وتفنى قوتها إذا ذكر الله..

فقمت من على كرسيي.. ومضيت أمشي متجهاً إلى خشبة المسرح.. والناس يصفقون معجبين.. ويظنونني لفرط إعجابي.. أقترب من الساحرة..

فلما وصلت إلى المسرح.. وصرت قريباً من هذه الساحرة.. وجهت نظري إليها ثم قرأت آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم..﴾.. فبدأت المرأة تضطرب.. وتضطرب.. فوالله ما ختمت الآية إلا وقعت على الأرض.. وأخذت تنتفض.. وقام الناس وفزعوا.. وحملوها إلى المستشفى.. وصدق الله إذ قال ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.. وقال: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾..

ومن وسائل الشرك.. تعظيم التماثيل والنصب التذكارية

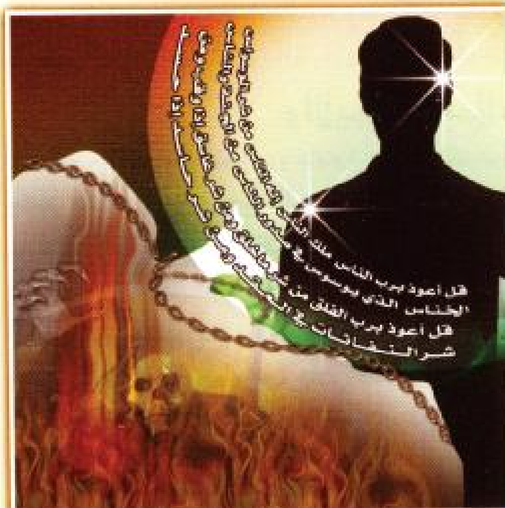
والتماثيل جمع تمثال.. وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان..

والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها على صور الزعماء والعظماء.. وينصبونها في الميادين والحدائق ونحوها..

وما وقع الشرك في الأرض إلا بسبب هذه التماثيل.. أما ترى قوم نوح لما صنعوا تماثيل لرجال منهم.. لم يمض عليهم زمن حتى عبدوهم من دون الله..

لذا نهى ﷺ عن نصب التماثيل.. وعن تعليق الصور.. لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.. بل لعن ﷺ المصورين.. وأخبر أنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة.. وأمر بطمس الصور.. وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة..

ومن وسائل الشرك.. التوسل البدعي



كالتوسل بجاه النبي ﷺ.. أو بذوات المخلوقين أو حقهم.. أو بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات.. فلا يجوز أن يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بجاه نبيك.. أو بحق فلان.. أو بروح الميت فلان.. كل هذا لا يجوز..

والتوسل الجائز المشروع.. هو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.. كأن يقول: يا رحيم ارحمني.. يا غفور اغفر لي..



وكذلك التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة.. كأن يقول اللهم بإيماني بك وتصديقي لرسلك.. أدخلني جنتك..

والتوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء.. كأن يطلب من عبد صالح حي.. أن يدعوا الله له.. فإن دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب.. أما طلب الدعاء من ميت في قبره.. فلا يجوز..

فكل ما سبق هو من حقوق الله على عباده.. لا يجوز صرفه لغير الله تعالى..

ومن الإيمان بالله أيضا

اعتقاد أن الله رب كل شيء وأنه المستحق للعبادة.. وله الأسماء الحسنى والصفات العلى.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾..

ونؤمن بأن الله يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء.. كما قال: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.. والقران وجميع الكتب السماوية.. هي كلام الله..

ونؤمن بأن الله عالٍ على خلقه بذاته وصفاته.. وبأنه خلق السموت والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش.. واستواؤه على العرش يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو عز وجل..

ومع أنه عالٍ على عرشه.. إلا أنه يعلم أحوال خلقه.. ويسمع أقوالهم.. ويرى أفعالهم.. ويدبر أمورهم.. ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾..

وكل ما أخبر الله به في كتابه وما أخبر به رسوله ﷺ من صفات ربنا فنحن مؤمنون بها.. مصدقون بحقيقتها.. على الوجه اللائق به عز وجل..

والإيمان بالملائكة

أن الله خلقهم من نور.. ووكلهم بأعمال يقومون بها..

وهم عباد لا يعصون الله ما أمرهم.. ويفعلون ما يؤمرون.. هم أكثر منا عدداً.. وأكثر خوفاً وتعبداً..

روى البخاري ومسلم أن في السماء بيتاً يسمى بالبيت المعمور يدخله كلٍ يوم سبعون ألف ملك فيصلون ثم يخرجون منه.. ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة..

وصحَ عند أبي داود والطبراني أنه ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»..

ولبعض الملائكة أعمال خاصة.. فجبريل موكل بالوحي إلى الأنبياء .

وميكائيل بالمطر والنبات.. وإسرافيل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة.. وملك الموت موكل بقبض الأرواح.. ومالك خازن النار..

ولله ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام.. وآخرون موكلون بحفظ بني آدم.. ومنهم موكلون بكتابة أعمال بني آدم.. وملائكة موكلون بسؤال الميت في قبره.. وغير ذلك..

هؤلاء هم الملائكة.. وهم عالم غيبي.. نؤمن بوجودهم وإن كنا لا نراهم.. وهناك مخلوقات أخرى غائبة عنا أيضاً.. وهم: الجن.. وهم مخلوقون من نار.. وخلقهم الله قبل خلق الإنس.. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾.

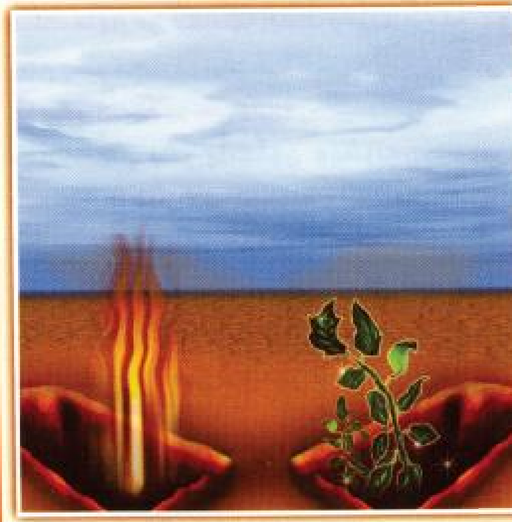
وهم مكلفون مأمورون بالعبادة.. فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.. ومنهم المطيع.. ومنهم العاصي..

وهم يعتدون على الإنس أحيانا.. كما يعتدي الإنس عليهم أحياناً..

ومن عدوان الإنس عليهم أن يستجمر الإنسان (أي يمسح فرجه بعد البول والغائط) بعظم أو روث.. ففي مسلم قال النبي ﷺ عن العظم والروث: (لا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن)..

ومن عدوان الجن على الإنس.. تسلطهم بالوسوسة.. وتخويفهم.. وصرعهم..

ويمكن للمسلم أن يتحصن منهم بالأذكار الشرعية.. كقراءة آية الكرسي.. والمعوذات.. والأذكار الشرعية الثابتة عن النبي ﷺ.. أما التقرب إليهم بالذبح لهم ودعائهم لاتقاء شرهم فهذا من صور الشرك..



ولا شك أن الجن والشياطين ضعفاء.. وكيدهم ضعيف.. ولكن الإنسان إذا كثرت معاصيه.. وصار ينظر إلى الحرام.. ويسمع المعازف.. وضعف إيمانه.. وقلّ تعلقه بربه.. وغفل عن ذكر الله.. وعن التحصن بالأذكار



الشرعية استطاعوا التسلط عليه..

قال تعالى عن الشيطان وجنده: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾..

والإيمان بالكتب

وهي الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه.. هداية للخلق.. وهي كثيرة.. نؤمن بها كلها.. وقد أخبرنا الله بأربعة منها.. فالقرآن أنزله الله على محمد.. والتوراة على موسى.. والإنجيل على عيسى.. والزبور على داود.. عليهم الصلاة والسلام..

وكلها كلام الله تعالى.. والقرآن هو آخرها وأعظمها.. جمع الله فيه ما في الكتب السابقة.. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾..

والإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

فقد بعث الله في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له..

وأول الرسل: نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام..

والرسل عددهم كثير.. منهم من أخبرنا الله باسمه.. وقص علينا خبره.. ومنهم من لم يخبرنا به..فنؤمن بهم كلهم..قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾..

وهم بشر مخلوقون لا فرق بينهم وبين الناس إلا أنهم يوحى إليهم.. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾..

نعم.. هم بشر يأكلون ويشربون.. ويمرضون ويموتون.. ويجب الإيمان بهم جميعاً فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع..

قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.. وقال عن قوم هود ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾.. مع أن كل أمة لم تكذب إلا نبيها.. ولكن لأن رسالة جميع الأنبياء واحدة فمن كذب بواحد منهم فقد كذب بالجميع..

وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم..

لأنه بشرهم بمحمد ﷺ وأمرهم باتباعه.. فلم يطيعوه.. وقل مثل ذلك في اليهود.. وغيرهم..

والإيمان باليوم الآخر..

وهو التصديق بما ذكر الله في كتابه.. وأخبر به رسوله ﷺ.. بما يقع بعد الموت.. فتؤمن أولاً بعذاب القبر ونعيمه.. وهو ثابت بالكتاب والسنة.. قال تعالى: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾..

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾.. قال ابن مسعود وغيره: العذاب الأول في الدنيا.. والثاني عذاب في القبر.. ثم يردون إلى عذاب عظيم في النار..

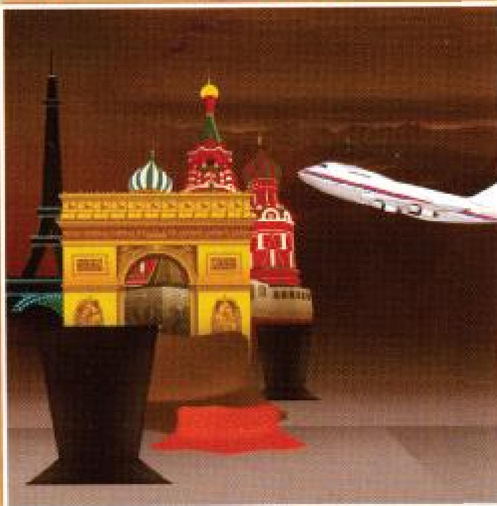
أما الأحاديث في إثبات عذاب القبر ونعيمه.. فهي كثيرة.. بل قد صرح ابن القيم وغيره أنها متواترة.. وفي السنة أكثر من خمسين حديثاً في ذلك..

منها ما في الصحيحين أن النبي ﷺ مر بقبرين.. فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)..

ومنها ما في الصحيحين أنه ﷺ كان يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر..).. وعذاب القبر ونعيمه أمور غيبية.. لا تقاس بالعقل..

ومن الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالبعث وإحياء الموتى حين ينفخ في الصور.. فيقومون حفاة عراة غرلاً (غير مختونين).. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾..

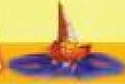


والإيمان بالحساب والجزاء..

قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾..

والإيمان بالجنة والنار.. فالجنة.. دار المتقين.. فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

والنار هي دار العذاب.. فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال.. وتؤمن كذلك بأشراط الساعة الصغرى..



والكبرى.. كخروج الدجال.. ونزول عيسى عليه السلام من السماء.. وطلوع الشمس من مغربها.. وخروج دابة الأرض من موضعها.. وغير ذلك..

ونؤمن.. بالشفاعة.. والحوض والميزان.. ورؤية الله تعالى.. وغير ذلك من أمور الآخرة..

والإيمان بالقدر خيره وشره

فتؤمن بأن الله لسعة علمه يعلم الأمور قبل أن تقع .. فعلم كل شيء جملة و تفصيلاً.. وكتبه في اللوح المحفوظ.. وخلق جميع الكائنات ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.. ولا يحدث في هذا الكون شيء إلا وقد علم الله حدوثه.. وأذن به.. قال الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

وكل إنسان له مشيئة وقدرة.. يختار بهما فعل الشيء أو تركه.. فهو إن أراد توضأ وصلى.. وان أراد ضل وزنى.. لذا هو محاسب ومجازى.. ولا يجوز أن يحتج بالقدر على ترك الواجبات.. أو فعل المحرمات..

ومما يقدح في الإيمان..

الاستهزاء بالدين.. فهو ردة عن الإسلام.. قال الله: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾..

ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام دين قديم لا يصلح لعصرنا.. أو إنه تأخر ورجعية.. أو يقول: إن القوانين الوضعية أحسن من الإسلام.. أو يقول في من يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف.. أو هذا وهابي.. أو يفرق المسلمين..

ومن أكبر القوادح في الإيمان.. الحكم بغير ما أنزل الله

فمن مقتضى الإيمان بالله الحكم بشرعه.. في الأقوال والأفعال.. والخصومات والأموال.. وسائر الحقوق.. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله.. ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله.. ولا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله.. فقال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً.. وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾..

فلا بد من الحكم بما أنزل الله.. في كل شيء في البيع والشراء.. والسرقة.. والزنا.. وغيرها.. وليس في أحكام الطلاق والزواج والأحوال الشخصية فقط..

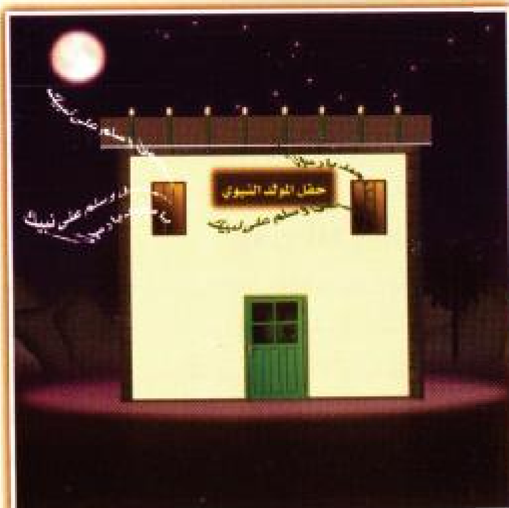
ومن شرع قوانين للناس.. وزعم أن هذه القوانين تغني عن حكم الله.. أو تساوي حكم الله.. أو قال هي أنسب وأفضل من حكم الله فهو كافر.. نعم كافر.. قال الله: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.. وقال الله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾..

وفي الصحيح أنه لما أنزل الله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾.. قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: يا رسول الله.. لسنا نعبدهم.. قال: (أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه.. ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟).. قال: بلى. قال ﷺ: "فتلك عبادتهم"..

ومن القوادح في الإيمان.. موالاة الكفار.. أو معاداة المؤمنين

ولا شك.. أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين.. وأن يحذروا مودتهم.. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾..

بل حرم الله محبة الآباء والاخوان.. إن كانوا كفاراً.. قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾..



والآيات في هذا المعنى كثيرة.. تدل كلها على وجوب بغض الكفار ومعاداتهم.. لكفرهم بالله.. وعدائهم لدينه.. ومعاداتهم لأوليائه.. وكيدهم للإسلام وأهله..

كما قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾..

وواقع اليهود والنصارى اليوم لا يخفى.. في كيدهم للإسلام.. ومحاربة أهله والتنفير منه.. وإنفاق الأموال الضخمة للصد عن سبيله..

ومن صور موالاة بعض المسلمين للكافرين اليوم: مخالطتهم من غير قصد الدعوة، أو مساكنتهم في بلادهم، أو السفر إليهم من غير ضرورة.. والتشبه بهم في اللباس، أو المظهر، أو طريقة الحياة.. أو التكلم بلغتهم من غير حاجة..

ومن أكبر القوادح في الإيمان..

تنقص أصحاب النبي ﷺ.. أو سبهم.. أو تنقص أهل بيته الكرام..

فنحب أصحاب النبي ﷺ.. ولا نغلوا في حب أحد منهم.. لا في علي رضي الله عنه.. ولا في غيره..

ولا نتبرأ من أحد منهم.. ونبغض من يبغضهم.. ولا نذكرهم إلا بخير.. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾..

ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم من خلافات أو حروب.. الإمساك عن ذلك كله.. فهم بشر يخطئون ويصيبون.. وكما عصم الله سيوفنا عن الدخول في تلك الفتن فلنعصم منها ألسنتنا.. ونقول: هم بشر لهم رب يجمعهم يوم القيامة ويحكم بينهم..

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر.. تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة.. ثم لعمر.. ثم لعثمان.. ثم لعلي رضي الله عنهم..

ومن القوادح في الإيمان..

ما استحدثه بعض المسلمين من بدع يزعمون أنها تقربهم إلى الله.. كالاحتفال بمولد النبي ﷺ.. والقيام له في أثناء ذلك.. وإلقاء السلام عليه..

أو الاحتفال بمولد غيره من الأولياء والصالحين.. وذلك كله من البدع الدين.. لم يفعله النبي ﷺ.. ولا الصحابة رضي الله عنهم.. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود عليه..

وقال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»..

وقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾..

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله لم يكمل الدين.. حتى جاء المتأخرون فأحدثوا عبادات زعموا أنها تقربهم إلى الله.. وهذا اعتراض على الله ورسوله.. فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله لبينه الرسول ﷺ للأمة..

وقد صرح العلماء بإنكار الموالد.. لأنها عبادة مبتدعة محدثة.. خاصة إذا وقع فيها غلو في الرسول ﷺ.. واختلاط النساء بالرجال.. أو استعمال آلات الملاهي.. وقد يقع فيها الشرك الأكبر بدعاء الرسول ﷺ.. والاستغاثة به.. وطلبه المدد.. واعتقاد أنه يعلم الغيب.. ونحو ذلك من الأمور الكفرية.. كما يردد بعضهم قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حدوث الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي	صفحا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

ومثل هذه الأوصاف: علم الغيب.. والمغفرة يوم القيامة.. والتحكم في الدنيا والآخرة.. لا تصح إلا لمن بيده ملكوت السموات والأرض..

وهذه تقع كثيرا.. في الاحتفال بمولد النبي ﷺ.. أو مولد غيره من الأولياء.. فإن قيل.. إن هذه الموالد يذكر فيها الرسول.. وتقرأ سيرته.. قلنا.. هذا كلام حسن.. ولكن يمكن أن يذكر الرسول ﷺ وسيرته من غير تحديد موعد معين كل سنة.. فيذكر على المنابر.. أو في المحاضرات.. أو المجالس العامة.. وغيرها..



وقد قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾..

وقد رددنا الاحتفال بالموالد



إلى كتاب الله فوجدناه يأمرنا باتباع نبينا.. ويخبرنا بأن الدين كامل..
وردنا الاحتفال بالموالد إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه.. فعلمنا أنه ليس من الدين.. بل هو من البدع المحدثة.. بل هو من التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم.. ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس.. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾..

ومن العجائب

أن بعض الناس يجتهد في حضور الاحتفالات المبتدعة.. ويتخلف عن الجمع والجماعات.. وبعضهم يظن أن النبي ﷺ يحضر المولد.. ولذا يقومون مرحبين.. وهذا باطل وجهل.. فإن الرسول ﷺ في قبره.. لا يخرج منه قبل يوم القيامة.. وروحه في عليين عند ربه في دار الكرامة.. قال ﷺ: «أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة»..

أما الصلاة والسلام عليه.. فهي من أفضل القربات.. قال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾..

ونعلم جميعاً أنه لا يتم إيمان عبد حتى يحب الرسول ﷺ.. ويعظمه..

ومن تعظيمه وتوقيره.. اتخاذه إماما متبوعاً..

فلا نتجاوز.. ما شرعه من العبادات.. قال الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾..

ومن البدع الظاهرة الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان

فهدي النبي ﷺ في رمضان الإكثار من العبادات.. وكان في العشر الأخير يزيد الاجتهاد.. وقال ﷺ كما في الصحيحين: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».. «ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».. هذا هدي الرسول ﷺ في رمضان وفي ليلة القدر.. وأما الاحتفال بليلة سبع وعشرين على أنها ليلة القدر فهو مخالف لهدي الرسول ﷺ فالاحتفال بها بدعة.. خاصة أن ليلة القدر قد تكون ليلة السابع والعشرين.. وقد تكون غيرها من الليالي..

ومن البدع أيضا الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

ولا ريب أن الإسراء والمعراج من الدلائل على صدق الرسول ﷺ.. وقد ثبت الإسراء والمعراج في الكتاب والسنة.. والليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج

لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره..

ولو ثبت تعيينها لم يجز تخصيصها بشيء من عبادة أو احتفال.. لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها.. ولم يخصوها بشيء..

والنبي ﷺ قد بلغ الرسالة.. وأدى الأمانة.. فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لبينه لنا..

ومن البدع.. الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص يومها بالصيام..

وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه.. وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها..

أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع.. كما نبه على ذلك ابن رجب..

وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال:

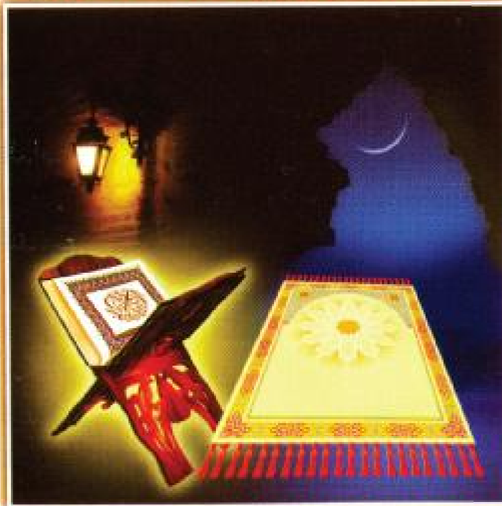
ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان..

وختاما.. ذكر العلماء أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله.. ويكون بها خارجاً عن الإسلام..

ومن أخطرها وأكثرها وقوعا عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى.. كما تقدم..

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .



الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر. فكل من لا يدين بدين الإسلام فهو كافر، سواء كان نصرانياً أو يهودياً، أو بوذياً، أو غير ذلك.. وسواء كان قريباً أو بعيداً.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه.. أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.. كالذي يفضل حكم



الطواغيت على حكمه – فهو كافر. ويدخل في ذلك: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها.. أو أنه يجوز التحاكم إليها (حتى لو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل).. أو اعتقد أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين.. أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين.. أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى. وكذلك من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.

وكذلك: كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما.. وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة.. لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً.. وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة.. كالزنى.. والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله.. فهو كافر بإجماع المسلمين..

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر.. لقول تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل له فأحبط أعمالهم﴾ محمد: ٩

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.. والدليل قوله تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ التوبة ٦٥-٦٦

السابع: السحر.. ومنه الصرف (وهو أن يعمل لأحد الزوجين ما يبغضه في الآخر) والعطف (وهو أن يعمل لأحد الزوجين ما يحببه في الآخر).. فمن فعله أو رضي به كفر.. والدليل قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ البقرة: ١٠٢

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.. والدليل قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ المائدة: ٥١

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام.. وكما يعتقد بعض الصوفية أنهم تسقط عنهم التكاليف الشرعية.. – فهو كافر لقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ آل عمران: ٨٥

العاشر: الإعراض عن دين الله.. لا يتعلمه ولا يعمل به.. والدليل قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ السجدة: ٢٢

وقفة..

إن الجريمة الكبرى.. والداهية العظمى..أن يترك المرء الصلاة.. فتاركو الصلاة هم أنصار الشيطان.. وأعداء الرحمن.. وخصوم المؤمنين.. وإخوان الكافرين.. الذين يحشرون مع فرعون وهامان.. ويتقلبون معهم في النيران.. وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم: (بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة).. وصح عند الترمذي والحاكم عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.. قال الشيخ ابن عثيمين: وإذا حكمنا على تارك الصلاة بالكفر.. فهذا يقتضي أنه تنطبق عليه أحكام المرتدين.. فلا يصح أن يُزوَّج.. فإن عُقد له وهو لا يصلي فالنكاح باطل.. وإذا ترك الصلاة بعد أن عُقد له فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة.. وإذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لأنها حرام.. ولا يدخل مكة.. ولو مات أحد من أقاربه فلا حق له في الميراث.. وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين.. ويحشر يوم القيامة مع الكفار.. ولا يدخل الجنة.. ولا يحل لأهله أن يدعوا له بالرحمة والمغفرة لأنه كافر.. وحال تاركي الصلاة عند الموت أدهى وأفظع..

ذكر ابن القيم: أن أحد المحتضرين.. كان صاحب معاص وتفريط.. فلم يلبث أن نزل به الموت.. ففزع من حوله إليه.. وانطرحوا بين يديه.. وأخذوا يذكرونه بالله.. ويلقنونه لا إله إلا الله.. وهو يدافع عبراته.. فلما بدأت روحه تنزع.. صاح بأعلى صوته.. وقال: أقول: لا إله إلا الله!! وما تنفعني لا إله إلا الله؟!! وما أعلم أني صليت لله صلاة!! ثمَّ أخذ يشهق حتى مات..



أما عامر بن عبد الله بن الزبير.. فلقد كان على فراش الموت.. يعد أنفاس الحياة.. وأهله حوله يبكون.. فبينما

هو يصارع الموت.. سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب.. ونفسه تحشرج في حلقه.. وقد أشتدَ نزعه.. وعظم كربه..

فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي..!! قالوا: إلى أين؟.. قال: إلى المسجد.. قالوا: وأنت على هذه الحال!! قال: سبحان الله..!! أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه.. خذوا بيدي.. فحملوه بين رجلين.. فصلى ركعة مع الإمام.. ثمَ مات في سجوده.. نعم.. مات وهو ساجد..

وقال عطاء بن السائب: أتينا إلى أبي عبدالرحمن السلمي.. وهو مريض في مصلاه في المسجد.. فإذا هو قد اشتد عليه الأمر.. وقد بدأت روحه تنزع.. فأشفقنا عليه.. وقلنا له: لو تحولت إلى الفراش.. فإنه أوثر وأوطأ.. فتحامل على نفسه وقال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة.. فأنا أريد أن أقبض على ذلك.. فمن أقام الصلاة.. وصبر على طاعة مولاه.. ختم له برضاه..

كان سعد بن معاذ رضي الله عنه.. صالحاً قانتاً.. متعبداً مخبتاً.. عرفه الليل ببكاء الأسحار.. وعرفه النهار بالصلاة والاستغفار.. أصابه جرح في غزوة بني قريظة.. فلبث مريضاً أياماً ثم نزل به الموت..

فلما أخبر به النبي ﷺ.. قال لأصحابه: انطلقوا إليه.. قال جابر: فخرج وخرجنا معه.. وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا.. وسقطت أرديتنا.. فعجب أصحابه من سرعته.. فقال: إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله.. كما غسلت حنظلة.. فانتهى إلى البيت فإذا هو قد مات.. وأصحاب له يغسلونه.. وأمه تبكيه.. فقال ﷺ: كل باكية تكذب إلا أم سعد.. ثم حملوه إلى قبره.. وخرج ﷺ يشيعه.. فقال القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه.. فقال ﷺ: ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم.. قد حملوه معكم.. والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد.. واهتز له العرش.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

ومن أكبر المعاصي.. منع الزكاة.. فهي الركن الثالث من أركان الإسلام.. وفي صحيح مسلم أنه قال: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)..
وروى البخاري أنه قال: (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا النبي الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾..

وأخيــــرا..

يا أخي الكريم.. وأختي الكريمة..

يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به.. يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم.. والله إني لك ناصح.. وهذا الحق قد تبين لك.. وعرفت أن الدين واحد لا يتعدد.. فهو الله لا إله إلا هو.. حي قيوم.. فرد صمد.. لا يرضى أن يشرك معه أحد.. ولا تكن من أولئك الذين يقولون: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾.. بل قل: إنا موحّدون طائعون متبعون..

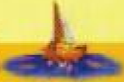
ولا تغتر بكثرة من يذبح عند القبور.. أو يشرك بالله عندها.. ولا تأخذك كثرة الأحاجي والقصص التي ينسجها هؤلاء عن مقبوريهم.. أنهم يكشفون الكربات.. ويجيبون الدعوات..

وانظر إلى أبي طالب عم النبي ﷺ.. الذي كان مصدقاً بأن النبي ﷺ حق.. وأن الدين الحق هو الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام.. حتى إنه كان يردد دائماً قوله:



والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
فلقد صدقت وكنت فينا أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامــة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكن منعه من اتباع الحق..



خوفه من مخالفة الآباء والأجداد..

بل انظر إليه.. وهو على فراش الموت.. شيخ كبير قد رق عظمه.. وضعف جسده.. وحانت منيته..

والنبي ﷺ واقف عند رأسه يدافع عبراته.. ويقول: يا عمّ قل لا إله إلا الله.. قل لا إله إلا الله.. وعند رأسه قد وقف كفار قريش.. فكلما أراد أن يتلفظ بشهادة التوحيد قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب.. أترغب عن ملة عبد المطلب.. ولم يزل النبي ﷺ يناشده أن يلفظ الشهادتين.. وهم يحثونه على البقاء على ملة آبائه وأجداده.. حتى مات.. وهو على دين آبائه وأجداده.. على عبادة الأصنام.. والشرك بالملك العلام..

مات.. وارتحل من هذا الدنيا ومقره إلى جهنم وبئس المصير.. والله قد حرم الجنة على الكافرين.. وفي الصحيحين أنه ﷺ سئل فقيل له: يا رسول الله إن عمك كان يحوطك وينصرك فهل أغنيت عنه شيئاً؟ فقال: نعم.. وجدته في غمرات من النار.. فأخرجته إلى ضحضاح من نار.. تحت قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه..

بل.. انظر إلى محطم الأصنام.. وباني البيت الحرام.. إبراهيمَ عليه السلام.. الذي ابتلي في مولاه..وعذب في سبيل الله..لا يستطيع يوم القيامة أن ينفع أباه..لأن أباه مات مشركاً بالله..

فعند البخاري: قال ﷺ: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة.. وعلى وجه آزر قترة وغبرة.. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟! فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك.. فيقول إبراهيم: يا رب.. إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون.. وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟

فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين..

ثم يقال: يا إبراهيم.. ما تحت رجليك.. فينظر فإذا هو بذيخ (أي ذئب) متلطخ.. فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.. فتنبه لهذا كله وتذكر (يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه).. (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم)..

وكن رجاعاً إلى الحق.. ناصحاً لغيرك.. داعياً إلى التوحيد..

أسأل الله للجميع الهدى والرشاد..

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله..